تفعيل خُلُقِ الإحسان
في العمل الخيري
ودَوْره في إصلاح المجتمع

إعــداد

دكتـــور/

محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

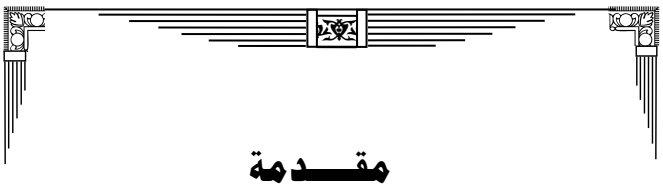

مقـــدمة

الحمد لله الذي جعل جزاء الإحسان إحسانًا، أحمده سبحانه حَمْدَ الشَّاكرين، وأشكره شُكْرَ الحامدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله، خاتم الرُّسل وأفضل الأنبياء، اللهم صلِّ وسلِّمْ علىٰ عبدك ورسولك محمد، وعلىٰ آله وصحبه؛ أما بعد:

فإنَّ الإسلام يَستهدفُ أن يَعُمَّ الإحسانُ كلَّ عمل، وكلَّ تَصَرُّفٍ، وكلَّ قولٍ؛ علىٰ كل المستويات الفردية والجماعية، نعم؛ يَعُمُّه في علاقة الفَرد بخالقه، وأُسرته، والمجتمع الذي يعيش فيه، وعلاقة الأُمَّةِ بالفَرد، وعلاقة الدولة بالأفراد والجماعات؛ في العلاقة بالله.

وما أَحَوْجُ الأمَّة في واقعها الْمُعاصر إلىٰ خُلُقِ الإحسان في كل شيء؛ في الأعمال الخَيرية، وفي التعاملات المجتمعية، وفي الحِرفة والصَنْعَة المهَنية.

فخُلُقُ الإحسان أساسٌ في صياغة رؤيةٍ خيرية إصلاحية شاملة؛ من كل الجوانب التَّكْوينيَّة للمُسلم؛ الْمُنعكسة تلقائيًا علي السُّلوك الخارجي والعملي، المنتهية عند معالجة الْمُعْضِلات الحياتية؛ الخاصة بالفرد، والمجتمع علىٰ حد سواء؛ فالمسلمون جميعًا مُطالبون بالإحسان في المعاملات كُلِّها؛ من أجلِ حلِّ مُعْضِلات الفَاقَة والفقر؛ بشكلٍ إصلاحي يَتَّسِمُ بالرُّقي، وبعيدًا عن الكَسَالىٰ الذين أَخْلدوا إلىٰ الأرض، وقَبعوا في مُستنْقع التَّوَاكل والخُمول والرَّجعية، وأمثالُ هؤلاء لا رُؤية لدَيْهم ولا رأىَ لهم؛ ولكن أُنْشِدُ الْمُحسنين العاملين؛ الذين جَمعوا

بين الروح والجسد، ونهضوا بالدُّنيا للدِّين، وسَهروا يُخطِّطُون كيف يملكون الدنيا، ويترفعون عنها وهيَ بين أيديهم بإمكاناتها، ويُدَبِّرُون كيف يتمكنون منها دُون أن يُمكِّنُوها منهم.

وفي ظلِّ إعادة صياغة هيكلة التَّوجُّهات الخيرية والإصلاحية، مع ما يتطابق ومفهوم الإحسان، والاتجاه إلىٰ التَّقدم بفاعلية وإنجاز؛ تبدو ضرورةُ الاستعانةِ بفِقْهِ إحسان السُّلوك والتفكير، والقصد عمومًا لتطوير وهَيْكلة المنظومة المجتمعية؛ حول مفاهيم الإحسان وتطبيقاته؛ بما يُتيح لها تحقيق الذَّات، وتقديم الخدمات، وتوفير الإمكانات التنموية؛ وعليه وقع اختيار الله وقدُره؛ لأبحث في موضوع يتعلق بخُلُق الإحسان، ودافعيَّتِه في إثراء العمل الخيري، وجاء تحت عنوان: **"تفعيلُ خُلُق الإحسان في العمل الخيري، ودوره في إصلاح المجتمع"**، وفيما يلي نعرض لأهمية البحث، ومنهجه، وأهدافه، وخُطَّته:

❁ أولًا: أهمية البحث:

إنَّ السِّمة التي يتفرَّدُ بها خُلُق الإحسان في صياغة رؤية خَيرية تُحقق إصلاحًا اجتماعيًا، جعلتْ فَهْمَ تطبيقاته وإسْقاطه علىٰ كافة شُؤون ومجالات الحياة ضرورة مُلِحَّة؛ للتَّعرف علىٰ الملامح الأساسية له، والدور المحوري الذي يقوم به؛ في سبيل معالجة مشكلات مادية، وسلوكية، ودَعوية؛ تحت مَظَلَّةِ العمل الخيري، وتَتَلَخَّصُ أهمية الموضوع؛ فيما يلي:

١ ـ **الأهمية العِلْمِيَّة**: يرىٰ الباحثُ أن فهم العلاقة بين الإحسان والعمل الخيري، وانعكاس ذلك علىٰ الإصلاح المجتمعي؛ يَستلزم عُمْقَ البحث فيها، فرَغْم ما كُتِبَ فيها؛ إلا أنَّها تفتقر إلىٰ دِراسة عِلْمية مُتأصلة مباشرة.

٢ ـ **الأهمية العَمَلِيَّة**: وهذه الأهمية؛ تَتَمثَّلُ في استقصاء غِياب الإحسان؛ في

كثير من المجالات والتعاملات بالنسبة للمُجتمعات المعاصرة، مع أنَّه مُتأصل واقعيٌ ومشروط في نهضة المجتمع الْمُسلم؛ لأنَّه يمسُّ جُذور التَّكوين البِنَائي؛ للقيم والأفكار التي تَمَسُّ المجتمع، وتُؤثر مباشرة في تشكيل وصياغة خُطَطِه الإصلاحية.

٣ ـ الأهمية المُستقبلِيَّة: وتُعدُّ هذه الأهمية من الضرورة بمكان؛ فالواقع المعاصر يحتاج إلىٰ التركيز علىٰ خُلُق الإحسان في إدارة العمل التخيري والتطوعي؛ لحاجتنا إلىٰ مُستقبل؛ مُشرق يَصوغ صورة الأمَّة المسلمة قي هيئة مُتطورة، تَنْعكس من بِنائها الأصيل، الذي أرساه رسولُ الله ﷺ.

❁ ثانيًا: منهج البحث:

اتبع الباحث في منهج دراسته عدة مناهج بحثية؛ انطلاقًا من مبدأ التكامل المنهجي؛ وهي كالآتي:

١ـ المنهج التاريخي: لأنَّ البحث يرتبط بأحداث استشهادية تاريخية.

٢ ـ المنهج الوصفي: حيث يصفُ الباحث ملامح العمل الخيري؛ في ظل خُلُق الإحسان.

٣ ـ المنهج التحليلي: سَلَكَ الباحث بعض التحليل لبعض القضايا المرتبطة بخُلُق الإحسان، ومواءمته للصُّور الحضارية للإصلاح الاجتماعي؛ وصولًا إلىٰ أهدافه.

❁ **ثالثًا: أهداف الدراسة:**

١. معالجة مُعوِّقات العمل الخيري؛ من خلال خُلُق الإحسان.

٢. الاستفادة من العمل الخيري في تنمية المجتمع؛ في ضوء خُلُق الإحسان.

٣. بيان الصِّلَة الشديدة بين الإحسان والعمل الخيري.

❁ **رابعًا: خُطَّة البحث: تحتوي هذه الدراسة على؛ مقدمة، وأربعة أبواب، وخاتمة:**

المقدمة: وفيها زُبْدة مُوجزة عن موضوع الدراسة، وأهمية الموضوع، وأهداف البحث، ومنهجه، وخطته.

الفصل الأول: مفهوم خُلُق الإحسان، وضرورته في الإصلاح المجتمعى.

الفصل الثاني: مستويات الإحسان في العمل الخيري، ودرجاته في الإصلاح الاجتماعي.

الفصل الثالث: غاية تفعيل الإحسان في العمل الخيري، ومجالاته في الإصلاح الاجتماعي.

أما الخاتمة: ففيها أهمُّ النتائج والتَّوصيات.

أسأل الله تعالىٰ أنْ يتقبَّله بفضله علىٰ ما فيه؛ من تقصير وزَلل بشري، أو خلل فكري.

وصلِّ اللهمَّ علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

الفصل الأول

مفهوم خُلُق الإحسان وضرورته في الإصلاح المجتمعي

❁ أولًا: مفهوم الخُلُق:

يدور معنىٰ الخُلُق لُغَةً حول عدة معان؛ هى: "السَّجِيَّةُ، والطَّبْعُ، والْمُروءةُ، والدِّينُ"[1] وهذه المعاني هي المشهورة في معاجم اللُّغة.

والخُلُق في الاصطلاح:

قِيل الخُلُق: "حالٌ للنَّفس، داعيةٌ لها إلىٰ أفعالها من غير فِكر ولا رُوية، وهذه الحال تنقسم الىٰ قسمين: منها ما يكون طبيعيًا من أصل المِزاج؛ كالإنسان الذي يُحركة أدْنَىٰ شيء نحو غضب، ويهيج من أقلِّ سبب، وكالإنسان الذي يُجنُّ من أيسر شيء، كالذي يفزع من أدنىٰ صوت يَطْرُق سمعه، أو يرتاع من خَبَرٍ يسمعه، وكالذي يضحك ضحكًا مُفرطًا من أي شيء يُعجبه، وكالذي يَغْتَمُّ ويحزن من أيسر شيء يناله، ومنها ما يكون مستفادًا بالعادة والتَّدريب، وربما كان

(١) الفيروزآبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (ط. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط. أولىٰ، سنة ١٤٠٦ هـ) صـ ١١٣٧؛ وانظر: كتاب الكلِّيَّات، معجم في المصطلحات والفروق؛ أيوب بن موسىٰ الحسيني الكفومي، تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري (ط. مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) صـ ٦٧٣.

مبدأه الفكر، ثُمَّ يستمر عليه أولًا فأولًا حتىٰ يَصِير مَلَكَةً وخُلُقا" [1].

وقيل: "مجموعة من المعاني والصِّفات المستقرة في النَّفس، وفي ضوئها وميزانها؛ يَحسُن الفعل في نظر الإنسان أو يَقْبح، ومن ثم يَقْدُمُ عليه أو يُحجِمُ عنه"[2].

وعرَّف بعض العلماء الأخلاق بأنها: "التَّحَلِّي بالمليح، والتَّخَلِّي عن القبيح"، ولا شكَّ أنَّ هذا التعريف هو أَخْصَرُ من التعريفات السابقة، وأقرب الىٰ الدَّلالة علىٰ المطلوب؛ ولكن لو قُيِّدَ بحسب الشَّرع لكان ذلك أحسنُ في نظرنا؛ لتفادي تَوَهُّمِ التَّحسين والتَّقَبُّحِ العقليين، وذلك غير مُراد، فلو قيل: "فعل المليح، والتَّخلي عن القبيح؛ بحسب الشرع"، لكان هذا أَوْلَىٰ حتىٰ نَنْأىٰ بالتعريف عن المناهج والتعريفات الفلسفية، وقد تَنَبَّه لذلك بعض الباحثين الأفذاذ؛ مثل الدكتور يالجن؛ فحدَّدَ مفهومَ الأخلاق في الإسلام بقوله: "يُمكن تحديد مفهوم الأخلاق في نظر الإسلام؛ بأن الأخلاق عبارة عن: عِلْمِ الخير والشر، والحُسْن، والقُبح، وله قواعده التي حدَّدَها الوحي؛ لتنظيم حياة الإنسان، وتحديد علاقته بغيره، علىٰ نحو يحقق الغاية من وجوده في هذا العالم علىٰ أكْمَل وجه" [3].

وثَمَّ تطابق بين المعنىٰ اللغوي للأخلاق، ومعناها الاصطلاحي "فالعلماء

---

(١) ابن مسكويه، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، تقديم حسن تميم (ط. دار مكتبة الحياه للطباعة والنشر، بيروت.ط.ثانية، د. ت) صـ ٥١.

(٢) عبدالكريم زيدان، أصول الدعوة (دار الوفاء للطباعة، مصر، ط. ثالثة، ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م) صـ ٧٩.

(٣) مقداد يالجن، التربية الأخلاقية الإسلامية (ط.دار عالم الكتب، الرياض،ط. أولىٰ، ١٤١٢هـ ١٩٩٢م) صـ ٨١.

يريدون بها تلك الصفات التي تَقوم بالنَّفس علىٰ سبيل الرُّسُوخ، ويَستحق الموصوف بها المدح أو الذَّم"[(١)].

❁ ثانيًا: معنى الإحسان:

الإحسان في اللغة: "مُشتقٌّ من الحُسْنِ، ومادة الحُسْنِ تدور في اللغة حول الجمال" [(٢)] في كل شيء وهو "ضدُّ القبيح ونقيضة" [(٣)]، و"حسَّنْتُ الشئ تحسينًا: زيَّنْتُه" [(٤)]، و"المحاسن: المـواضع الحَسَنة من البَدَنِ" [(٥)].

و"هو مصدر: تقول أحسنَ يُحسن إحسانًا، ويتعدىٰ بنفسه وبغيره، تقول أحسنتُ كذا إذا أتقنته، وأحسنتُ إلىٰ فلان إذا أوصلتَ إليه النفع، والأول هو المراد؛ لأن المقصود إتقان العبادة، وقد يَلحظُ الثاني بأن المخلص مثلًا مُحسن بإخلاصه إلىٰ نفسه، وإحسان العبادة الإخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها ومراقبة المعبود"[(٦)].

---

(١) عمر الأشقر، نحو ثقافة إسلامية أصيلة (ط.دار النفائس، عمان، ط.عاشرة، سنة ١٤٢١، ٢٠٠٠م) صـ ١٥٧.

(٢)الفيروزآبادي، القاموس المحيط (ط. دار الفكر، ١٣٩٨ هـ، ١٩٧٨م) جـ ٤، صـ ٢١٣.

(٣)ابن منظور، لسان العرب، بتحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي (ط. دار المعارف، د.ت) جـ ٣، صـ ٨٧٧، وانظر مختار الصحاح؛ لمحمد بن أبي بكر الرازي (ط. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، د.ت) صـ ١٣٦

(٤)ابن منظور، لسان العرب، جـ ٣، صـ ٨٧٧، وانظر مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي، صـ ١٣٧.

(٥)الفيروزآبادي، القاموس المحيط، جـ ٤، صـ ٢١٤.

(٦)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري أبو العلا، تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي =

وفي التوقيف علىٰ مهمات التعاريف: "الحُسْنُ: كل مُبْهِجٍ مرغوب فيه، وهو ثلاثة؛ مُسْتَحسن من جهة العقل، ومُسْتَحسن من جهة الهوىٰ، ومُسْتَحسن من جهة الحُسْن"[(١)].

وقال الجرجاني في التعريفات: "الحُسْن: هو كَون الشيء مُلائمًا للطَّبْع كالفرح، وكَون الشيء صفة الكمال كالعلم، وكَون الشيء متُعلق بالمدح كالعبادات، وهو ما يكون مُتعلق بالمدح في العاجل، والثواب في الآجل، والحُسن لمعنىٰ في نفسه؛ عبارةٌ عمَّا اتَّصفَ بالحُسن لمعنىٰ ثَبُتَ في ذاته كالإيمان بالله وصفاته، والحُسن لمعنىٰ في غيره هو الاتِّصاف بالحُسن لمعنىٰ ثَبُتَ في غيره كالجهاد؛ فإنَّه ليس بحُسن لذاته؛ لأنَّه تخريب بلاد الله وتعذيب عباده وإفناؤهم)[(٢)].

والإحسان اصطلاحًا:

عرَّفه صاحب جوامع الكَلِم ﷺ بقوله في جوابه علىٰ سؤال جبريل؛ حين سأله: (مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[(٣)].

= (ط.دار الكتب العلمية – بيروت ـ د.ت) جـ٧ صـ ٢٧٠.

(١)محمد عبد الرؤوف المناوي، التوقيف علىٰ مهمات التعاريف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية (ط.دار الفكر المعاصر، دار الفكر – بيروت، دمشق ط. الأولىٰ، ١٤١٠) جـ ١، صـ ٢٧٩.

(٢)علي بن محمد بن علي الجرجاني، التعريفات، تحقيق: إبراهيم الأبياري (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، طبعة أولىٰ، ١٤٠٥) صـ ١١٧، ١١٨.

(٣)جزء من حديث الإيمان الطويل ونَصُّه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:كَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَارِزًا يَوْمًا لِلنَّاسِ، فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ: مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَبِلِقَائِهِ، وَرُسُلِهِ، وَتُؤْمِنَ بِالْبَعْثِ، قَالَ مَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: الْإِسْلَامُ أَنْ تَعْبُدَ اللهَ وَلَا تُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، وَتُقِيمَ الصَّلَاةَ، وَتُؤَدِّيَ =

الإحسان: "أن تعبد الله كأنَّك تراه، والإحسان: العفو عن الناس"[1]،وقِيلَ: "الإحسان: الصبر علىٰ طاعة الله في أمْره ونهيه؛ سرًا وجهرًا" [2].

ويقول سفيان الثوري: الإحسان: أن تكون السَّريرة أفضل من العلانية، ويقول

= الزَّكاة الْمَفْرُوضَةَ، وَتَصُومَ رَمَضَانَ، قَالَ: مَا الْإِحْسَانُ؟ قَالَ: أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ، قَالَ: مَتَىٰ السَّاعَةُ؟ قَالَ: مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ مِنْ السَّائِلِ، وَسَأُخْبِرُكَ عَنْ أَشْرَاطِهَا؛ إِذَا وَلَدَتْ الْأَمَةُ رَبَّهَا، وَإِذَا تَطَاوَلَ رُعَاةُ الْإِبل؛ الْبُهْمُ فِي الْبُنْيَانِ فِي خَمْسٍ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللهُ، ثُمَّ تَلَا النَّبِيُّ ﷺ ﴿إِنَّ اللهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ الْآيَةَ، ثُمَّ أَدْبَرَ، فَقَالَ: رُدُّوهُ فَلَمْ يَرَوْا شَيْئًا، فَقَالَ: هَذَا جِبْرِيلُ جَاءَ يُعَلِّمُ النَّاس دِينَهُمْ، قَالَ أَبُو عَبْد اللهِ: جَعَلَ ذَلِك كُلَّهُ مِنْ الْإِيمَانِ)، والحديث أخرجه البخاري (محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة)، راجع فتح الباري، شرح صحيح البخاري؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، كتاب الإيمان، بَاب سُؤَالِ جِبْرِيلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنْ الْإِيمَانِ وَالْإِسْلَامِ وَالْإِحْسَانِ وَعِلْمِ السَّاعَةِ، بتحقيق محب الدين بن الخطيب، ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي (ط. دار الريان للتراث، المكتبة السلفية، طبعة ثالثة، سنة ١٤٠٧هـ) جـ ١ صـ ١٤٠، وأخرجه مُسلم في صحيحه، انظر المنهاج شرح صحيح مُسلم بن الحجاج؛ لأبي زكريا يحيىٰ بن شرف بن مري النووي، كتاب الايمان، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان باثبات قدر الله سبحانه وتعالىٰ (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت – طبعة ثانية، ١٣٩٢) جـ١، صـ ١٥٧.

(١)أبو إسحاق؛ أحمد بن محمد بن إبراهيم، الثعلبي، النيسابوري، الكشف والبيان، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، مراجعة وتدقيق الأستاذ نظير الساعدي (دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان – ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠٢ م الطبعة: الأولىٰ) جـ ٦، صـ ٣٧ باختصار.

(٢)الإمام عز الدين؛ عبد العزيز بن عبد السلام السلمي، الدمشقي، الشافعي، تفسير العز بن عبد السلام تفسير القرآن، تحقيق الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي (دار ابن حزم ـ بيروت ـ الطبعة الأولىٰ: ١٤١٦ هـ/ ١٩٩٦م) جـ ١، صـ ٥٧٧.

علي رضي الله عنه: الإحسان: التَفَضُّل" [1].

وعرفه السلمي بقوله: "الإحسان: هو الاستقامة إلىٰ الموت، وهو أن تعبد الله كأنَّك تراه، والإحسان: إحسانك إلىٰ من اسْتَرعاك اللهُ أمرَه، ولُزوم النَّفْس لكل مُسْتَحْسَنٍ من الأقوال والأفعال" [2]، وقال ابن كثير رحمه الله: "الإحسان: أن يَعطيَ الإنسانُ أكثرَ مما عليه، وأن يأخذَ أقلَّ مما له" [3].

وقيل: الإحسان؛ هو العمل بما لم يفرضْه عليهم من الأعمال، ولكنَّه نوافلُ تقرَّبوا بها إلىٰ ربِّهم؛ طلبَ رِضاه، وهربًا من عقابه، والله يحب الْمُتقرِّبين إليه بنوافلِ الأعمال التي يرضاها [4].

وعرفه المناوي بقوله: (الإحسان: أي الإخلاص وهو تَصْفية العمل عن شَوْب الغَرَضِ والعَوَضِ) [5]، وقِيل (الإحسان: الإشارةُ إلىٰ المُرَاقَبَة، وحُسْن

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي، أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ـ الطبعة: ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) جـ ٢، صـ ٤٣٥.

(٢)أبو عبد الرحمن؛ محمد بن الحسين بن موسىٰ، الأزدي، السلمي، تفسير السلمي، حقائق التفسير، تحقيق سيد عمران (دار الكتب العلمية، لبنان/ بيروت، سنة ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) جـ ١، صـ ٣٧٢.

(٣)ابن كثير؛ تفسير القرآن العظيم (ط. دار المعرفة بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ، ١٩٨٣م) جـ٢، صـ ٥٩٣.

(٤)محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي؛ أبو جعفر الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق: أحمد محمد شاكر (ط. مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولىٰ، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م) جـ ١٠، صـ ٥٧٦.

(٥)الإمام الحافظ زين الدين عبد الرؤوف المناوي، التيسير بشرح الجامع الصغير، (مكتبة الإمام الشافعي – الرياض – الطبعة: الثالثة ـ ١٤٠٨هـ – ١٩٨٨م) جـ ١، صـ ٨٧٥.

الطاعة؛ فإنَّ مَن راقَب الله أحْسَن عملَه)[1].

وقد حاول الراغب الأصفهاني أنْ يجمعَ شَمْلَ معاني الإحسان؛ ليصُوغ مفهومًا جامعًا؛ فقال: "الحُسْنُ عبارةٌ عن كل مُبْهِج مرغوبٌ فيه؛ وذلك ثلاثة أَضْرُبٍ: مُسْتَحْسَنٌ من جهة العقل، ومُسْتَحْسَنٌ من جهة الهوىٰ، ومُسْتَحْسَنٌ من جهة الحسِّ، والحَسَنَةُ يُعبَّر بها عن كل ما يَسُرُّ من نعمةٍ تَنَالُ الإنسانَ في نفسه، وبدنه، وأحواله، والسيئةُ تُضادُّها... ؛فقوله تعالىٰ: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النساء:٧٨] -أي: خِصْب وسَعَة وظَفَر - ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ﴾ [النساء:٧٨] -أي جَدْب وضيق وخَيْبة - وقوله تعالىٰ: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ﴾ [النساء:٧٩] "[2].

ثم قال: "والاحسان؛ يُقال علىٰ وجهين:

❁ **أحدهما:**

الإنعام علىٰ الغَيْر، يُقال: أحسنَ إلىٰ فلان، **والثاني:** إحسانُ فِعْله، وذلك إذا عَلِمَ عِلْمًا حسنًا، أو عَمِلَ عملًا حسنًا، وعلىٰ هذا قول أمير المؤمنين رضي الله عنه: (النَّاس أبناء ما يُحسنون)؛ أي مَنْسُوبون إلىٰ ما يعلمون، وما يعْمَلُونه من الأفعال الحسنة... فالإحسان أعمُّ من من الإنعام)"[3].

---

(١)أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، طاهر أحمد الزاوىٰ - محمود محمد الطناحي، (المكتبة العلمية - بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) جـ ١، صـ ٩٦٢.

(٢)الراغب الأصفهاني؛ المفردات في غريب القرآن، مادة (حسن)، (ط. دار المعرفة، د.ت) صـ ١١٨ - ١١٩.

(٣)نفس المصدر والصفحة.

❁ ثانيًا: ضرورة خُلُق الإحسان في العمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي:

يُعدُّ خُلُق الإحسان ضرورة مِحْورية في العمل الخيري، والإصلاح المجتمعي، ويأتي ذلك من عدَّةِ محاور:

الأول: ضرورة الإحسان في إصلاح منظومة العمل؛ داخلٌ بنهوض المجتمعات:

العـــــملُ هو: (الفعل وجمعه أعمـــــال، وأَعْمَلَه واسْتَعْمَلَه غيره، واعْتَمَلَ: عَمِل بنفسه)[1].

والظاهرُ أن هناك فَرقًا بين العمل والمهنة؛ فكلُّ مهنةٍ عملٌ، وليس كلُّ عملٍ مهنةٌ؛ لأنَّ المهنة تقتضي الإتقان والمعرفة الدقيقة بخلاف العمل، فقد يعمل الإنسان في عمل لا يُتقنه؛ فلا يُمْكنُ أنْ نُسميه مُمْتَهِنًا له؛ حتىٰ يُتقنه؛ إلا أن يُتَجَوَّزَ في ذلك.

والعمل بمعناه الواسع في الإسلام هو: "كلُّ جُهْدٍ وعملٍ مادي أو معنوي أو مؤلف منهما معًا؛ يُعدُّ عَمَلًا في نظر الإسلام؛ فعامل المصنع ومديره، والموظف في الدولة، والتاجر، وصاحب الأرض، والطبيب، والمهندس؛ كلُّ هؤلاء عمالٌ في الدولة الإسلامية"[2].

والإسلام يأمر الإنسان بأنْ يُعَمِّرَ حياته بالعمل الْمُتْقَنِ الصالح؛ للانتفاع بما سخر الله له في الأرض، وتواصلُ العمل الصالح ينـزعُ بالحياة الإنسانية إلىٰ الرُّقي المستمر، وحبُّ العمل من مظاهر الفِطْرة الإنسانية السَّوِيَّة، وممارسةُ العمل من

---

(١)الفيروزابادىٰ؛ القاموس المحيط، فصل العين باب اللام، صـ ٢٢.

(٢)نحو ثقافة إسلامية أصيلة؛ عمر سليمان الأشقر (ط. أولىٰ، دار النفائس: عمان، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م) صـ ٣٠٣.

أَوْكَدِ ظواهرِ الحياة الإنسانية الرَّاقية، ويشترك في ذلك النوع الإنساني عامةً؛ ومن أبرزهم الرُّسُل عليهم الصلاة والسلام، وهم أفضل خلق الله.

ثم إنَّ العمل مصدرُ الحياة الإنسانية، وسرُّ عظمتها، وبه تُتَّخَذُ أسبابُ استمرار الحياة وتقدُّمِها، وعلىٰ ضوء هذه النُّظم الاجتماعية؛ تصعد الحياة البشرية نحو مُستويات أكثر فأكثر في مجالات التَّرَقِّي والتقدم، أو تنحدر إلىٰ أسفل سافلين؛ كُلَّمَا تقاعَسَتْ عن حُسْنِ أداء العمل الصالح؛ وبذلك اقتضتْ سُنَّة الله في خلقه أن هذه الأرزاق التي ضَمِنَها، والأقواتَ التي قدَّرَها، والمعايش التي يَسَّرَها؛ لا تُنال إلا بجهد يُبْذَل وعمل يُؤَدَّىٰ بإحسان؛ ولهذا رتَّبَ الله سبحانه وتعالىٰ الأكلَ من رزقه؛ علىٰ المشي في مناكب أرضه؛ فقال تعالىٰ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [المُلك:١٥].

والعمل الدُّنْيَوي إذا أُتْقِنَ وأُحْسِنَ وصَحَّتْ فيه النِّيَّةُ، وصَدَرَ عن منهج إسلامي؛ بحيث رُوعِيَتْ فيه أحكامُ الإسلام؛ يكون في حد ذاته عبادة؛ فإذا سعىٰ الإنسان علىٰ معاشه ليعفَّ نفسَه، أو يعولَ أهله، أو يُحْسِنَ إلىٰ أرحامه وجيرانه، أو ليُعَاوِنَ في عمل الخير، ونُصْرَةِ الحقِّ؛ فإنَّ ذلك ضَرْبٌ من الجهاد في سبيل الله؛ عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «السَّاعي علىٰ الأرملة والمسكين؛ كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النَّهار»[(١)].

وإن خُلُق الإحسان؛ يتضمن التأكيد علي قيمة إتقان العَمَل، والجودة، وكفاءة

(١)الحديث متفق عليه؛ رواه الإمام البخاري في كتاب النفقات، باب فضل النفقة علىٰ الأهل، رقم الحديث: ٥٣٥٣، انظر: فتح الباري ٩ / ٤٠٧. ورواه الإمام مُسلم؛ في كتاب الزهد، باب: فضل الإحسان إلىٰ الأرملة والمسكين واليتيم، رقم الحديث ٤١ (٢٩٨٢).

الأداء، ومهارة الصُّنع، وضمير المهنة، وإخلاص العمل؛ قال تعالي:

﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾؛ أيْ: لا نُبْطل ثواب من أحسن عملًا في الآخرة[1].

و(عن أبي كليب أنَّه شَهِدَ مع أبيه جنازة؛ شهدها رسول الله ﷺ؛ وأنا غلام أعْقِلُ وأَفْهَمُ، فانتهىٰ بالجنازة إلىٰ القبر، ولم يُمَكَّنْ لها؛ قال: فجَعَلَ رسولُ الله ﷺ يقول: «سَوُّوا لحدِّ هذا؛ حتىٰ ظنَّ النَّاس أنَّه سُنَّةً، فالتفتْ إليهم فقال: أَمَا إنَّ هذا لا ينفعُ الميتَ ولا يَضُرُّه؛ ولكنَّ الله يحب من العامل إذا عمل أن يُحسن»[2].

ويُؤخذ من هذا الحديث فوائد؛ منها: أنَّ (الإحسان) والحثَّ عليه ليس مُقتصرًا علىٰ أمور العبادة فحسب، بل؛ يمتد حتىٰ يصل للأمور الدُّنْيَوية؛ ومنها: شعور المسلم بالإنجاز السليم، وأنه عمل ما يحبه الله، وأنه بإحسانه راضٍ عن نفسه؛ بعدم التقصير.

ثم إن أداء الواجب بإتقان، يَسْبِقُ دائمًا طلبَ الحقِّ، والإسلام يرفض الاستثناء في أي شيء وفي أي مجال وتحت أيِّ ظرف؛ فالكل أمام قانون الإحسان بإتقان العمل الخيري الإصلاحي وغيره سواء، والتعامل يجب أن يتمَّ بمكيال واحد؛ دون أية ازدواجية في معايير التقويم، والمجتمع دائمًا يُخاطِبُ بلُغَةِ الإنجاز

(١)أبو الليث؛ نصر بن محمد بن إبراهيم، السمرقندي، الفقيه، الحنفي، بحر العلوم، تحقيق: د.محمود مطرجي (ط. دار النشر: دار الفكر – بيروت، د.ت) جـ ٢، صـ ٣٤٥.

(٢)أخرجه البيهقي؛ أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي؛ شعب الإيمان، تحقيق: محمد السعيد بسيوني زغلول، باب: في الأمانات وما يجب من أدائها إلىٰ أهلها (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، طبعة أولىٰ،سنة ١٤١٠هـ) جـ٤، صـ ٣٣٥.

التي يتردد صداها في بيوت النَّاس وجيوبهم، وإنَّ التقدم له أسبابٌ؛ من أخذَ بها فازَ، ومن تخلَّي عنها خابَ وخَسَر، والتقدم والنهوض لا يقف عند حدود الرغبة.

الثاني: أن خُلُق الإحسان يَعْمِدُ إلى مُراقبة الله؛ في كافَّةِ التحركات الاجتماعية:

إنَّ مُراقبة الله تعالىٰ هي أصلٌ في خُلُق الإحسان، "ولا شكَّ أن العاقل إذا عَلِمَ أنَّ الحكمة التي خُلِقَ من أجلها؛ هي أن يُبْتَلَىٰ؛ أي يُخْتَبَر بإحسان العمل؛ فإنه يَهْتَمُّ كلَّ الاهتمامِ بالطريق الموصلة لنجاحه في هذا الاختبار، ولهذه الحكمة الكُبرىٰ سأل جبريلُ النَّبيَّ ﷺ عن هذا؛ ليُعَلِّمَه لأصحاب النَّبي ﷺ؛ فقال: "أخبرني عن الإحسان"، أيْ: وهو الذي خُلِقَ الخَلْقُ لأجلِ الاختبار فيه، فبيَّن النَّبي ﷺ أنَّ الطريق إلىٰ ذلك؛ هي هذا الواعظ، والزَّاجر الأكبر؛ الذي هو مُراقبة الله تعالىٰ، والعِلْمُ بأنَّه لا يخفىٰ عليه شيء مما يفعل خَلْقُه؛ فقال له: «الإحسانُ أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإنْ لم تكن تراه فإنَّه يراك»[1].

والإحساسُ بمراقبة الله؛ أقوىٰ عاملٍ علىٰ اكتساب الإحسان في القول والعمل؛ وذلك مَدْعاةٌ إلىٰ النهوض بالمجتمعات، ومما يُثْبِتُ مُلاحقةَ مُراقبةِ اللهِ للإنسانِ في كل شيء؛ قوله تعالىٰ: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ ۖ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الملك:١٣].

وفيه دَلالة علىٰ أنَّ السِّرَّ والجهرَ عند الله وفي عِلْمِ الله علىٰ حدٍّ سواء؛ لأنَّه عليمٌ بذات الصدور، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور.

وقوله تعالىٰ: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ [الرعد:١٠]، وقوله:

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ ٢، صـ ١٧١.

﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه:٧] ، وقوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق:١٦].(١)

وفي ذلك "يُخْبِرُ تعالىٰ عن قدرته علىٰ الإنسان؛ بأنَّه خالقُه، وعِلْمُه محيطٌ بجميع أموره؛ حتىٰ إنَّه تعالىٰ يعلم ما توسوس به نفوس بني آدم؛ من الخير، والشَّر"(٢).

وقال القرطبي؛ نقلًا عن أبي إسحاق الإسفرائيني: "إنَّ من أسماء صِفَات الذَّات ما هو للعِلْمِ؛ منها العليم، ومعناه: تفهيمُ جميع المعلومات، ومنها الخبير: ويَخْتَصُّ بأنْ يَعْلَمَ ما يكونُ قبل؛ أنْ يكونَ، ومنها الحكيم: ويُخْتَصُّ بأنَّه يعلمُ دقائقَ الأوصافِ، ومنها الشَّهيد: ويَخْتَصُّ بأنْ يعلمَ الغائبَ والحاضرَ، ومعناه: ألا يغيب عنه شيء، ومنها الحافظ: ويَخْتَصُّ بأنَّه لا ينسىٰ، ومنها الْمُحْصِي: ويَخْتَصُّ بأنَّه لا تَشْغله الكثرةُ عن العِلْمِ؛ مثل ضوء النهار واشتداد الريح وتساقط الأوراق؛ فيعلم عند ذلك أجزاءَ الحركات في كلِّ وَرقة، وكيف لا يعلمُ وهو الذي يخلقُ؟! وقد قال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الملك:١٤] ، و(مَنْ) في قوله تعالىٰ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ﴾ [الملك:١٤] ، أجازوا فيها أن تكونَ فاعل (يَعْلَمُ)، وهو الله تعالىٰ؛ أي: إنَّ الذي خلقَ يعلمُ ما خلق؛ ومنه ما في الصدور"(٣).

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ٨، صـ٢٣٦.

(٢)أبو الفداء؛ إسماعيل بن عمر بن كثير، القرشي، الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: سامي بن محمد سلامة (ط. دار طيبة للنشر والتوزيع، طبعة ثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م) جـ٧، صـ٣٩٧.

(٣)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن، جـ٨، صـ٢٣٦

وعليه؛ فإن استشعار مراقبة الله؛ في الخَطَرَاتِ، والحركات، والأنفاس؛ يترتَّبُ عليه الإحسانُ في العمل والقول وفي كل شيء، وذلك مَطلبُ الإحسانِ وموضوعه، وبذلك تُضْبط المجتمعات، وتَقوىٰ، ولا يُصيبها الضعف والوهنُ أبدًا.

الثالث: ضرورة الإحسان في إحياء الرحمة، وإثراء دافعيَّة العمل الخيري:

تُعتبر الرحمةُ موضوع الإحسان وروحه، وهي تَشملُ؛ العطفَ، والمواساة، والمشاركة الوجدانية، ومَيْلَ القلب لمساعدة الآخرين؛ كقضاء دَيْنٍ عن مُعْسِرٍ، أو إنظاره، أو مساعدة مُحتاج، أو معاونة شيخ كبير، أو إرشاد ضالٍّ، أو نحو ذلك: والرحمة واجبة، وضدُّها القسوة والغِلظة.

ولما كان موضوع الإحسان يَقوم علىٰ الرحمة؛ كانت المثلية في جزاء المحسن وجزاء أهل الرحمة؛ قال تعالىٰ: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن:٦٠]، وفي جزاءِ أهلِ الرحمة رَوَىٰ عبد الله بن عمرو؛ قال: قال رسول الله ﷺ: «الرَّاحمون يرحمهم الرحمن؛ ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء، الرَّحِمُ شُجْنَةٌ من الرحمن؛ فمن وصلها وصلَه الله، ومن قطعها قَطَعَهُ الله»(١).

(١)أخرجه الترمذي (محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي السلمي) في سُننه، انظر الجامع الصحيح سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ، قال أبو عيسىٰ: هذا حديث حسن صحيح، وقال الشيخ الألباني: صحيح (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ ٤، صـ ٣٢٣.

(قال الطيبي: أَتَىٰ بصيغةِ العُموم؛ ليشملَ جميعَ أصناف الخَلْقِ؛ فيرحم البرَّ، والفاجر، والناطق، والبُهْمَ، والوحوش، والطير...) [1]، والجزاء من جِنس العمل، فرحمة الله قريب من المحسنين؛ الذين يُحسنون في أهليهم، ومع النَّاس كافَّة، ومع كل ذي روح ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

❁ الرابع: ضرورة خُلُق الإحسان؛ في دعم إصلاح أخلاق المجتمعات:

إنَّ من مقاصد البَعثة المحمدية؛ إتمام محاسن الأخلاق في الأفراد والمجتمعات، وإصلاح المائل منها، وإنَّ الله بعث محمدًا ﷺ علىٰ حين فترة من الرُّسل، وأمره بإحسان القول؛ لإنجاح بِناء صَرْحِ المجتمع علىٰ دُعامة راسخة؛ وذلك لأنَّ شأن الأخلاق عظيم في هذه الشريعة المباركة؛ إذ هي مَبْنِيَّةٌ علىٰ القيام بحقوق الله تعالىٰ، والقيام بحقوق العباد؛ ابتغاء وجه الله تعالىٰ، فبقدر استقامةِ الخُلُق يستقيم دِيْنُ المرء؛ قال الله تبارك وتعالىٰ في بيان أعظم آيات النبي ﷺ؛ الدَّالةِ علىٰ صِدق نُبُوَّتِه:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، وبيَّن النبيُّ ﷺ عِظم مكانةِ أحاسنِ النَّاس خُلُقا؛ حين قال فيما رواه جابر: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ، وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ الثَّرْثَارُونَ، وَالْمُتَشَدِّقُونَ، وَالْمُتَفَيْهِقُونَ؛ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ قَدْ عَلِمْنَا الثَّرْثَارُونَ وَالْمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا الْمُتَفَيْهِقُونَ؟ قَالَ: الْمُتَكَبِّرُونَ» [2] وَالْمُتَشَدِّقُ: الَّذِي

(١)محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم؛ المباركفوري، أبو العلا؛ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (ط. دار الكتب العلمية – بيروت، د.ت) جـ ٦، صـ ٤٣.

(٢) رواه الترمذي؛ محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ، الترمذي، السلمي؛ الجامع الصحيح سنن الترمذي، بتحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، باب: ما جاء في معالي الأخلاق، وقال أبو عيسىٰ؛ وفي =

يَتَصَنَّعُ الكلامَ رياءً، ويَتَطَاوَلُ عَلَىٰ النَّاس بلسانه.

وحُسْنُ الخُلُقِ؛ صفة من صفات الأنبياء، والصِّدِّيقين، والصالحين؛ بها تُنال الدرجات، وتُرفع المقامات، وهو واجب من الواجبات الدِّينية، وفريضة من الفرائض الشرعية، وقد أمرَ به النبي ﷺ؛ ففي حديث أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقِّ اللهَ حيثما كنتَ، وأتبع السيئة الحسنة تمحُها، وخَالِقْ النَّاس بخُلُقٍ حَسَنٍ»(١).

إذن؛ من جلائل موضوع الإحسان؛ مكارم الأخلاق، وطيبها؛ فهي عِماد القَبُول، وطريق النجاة.

ومن هنا مَدَحَ الله تعالىٰ نبيَّه بهذه الصفة؛ فقال عنه: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤]، فحُسْنُ الخُلُقِ أصْلٌ في أدبِ التعامل، وتَتَفَرَّعُ عنه سُلوكيات كثيرة.

ويتحدث الإمام الغزالي عن أهم هذه السلوكيات الفردية والاجتماعية المترتبة علىٰ حُسن الخُلُق؛ فيقول بأنَّ من صفات الشخص الذي يُوصف بحسن الخُلُق؛ أنه "يكون كثير الحياء، قليل الأذىٰ، كثير الإصلاح، صَدوق اللسان، قليل

=

الباب؛ عن أبي هريرة: وهذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وروىٰ بعضهم هذا الحديث عن المبارك بن فضالة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر عن النبي ﷺ، ولم يذكر فيه عن عبد ربه بن سعيد؛ وهذا أصح. والثَّرثَار: هو الكثير الكلام، والمتشدق: الذي يَتطاول علىٰ النَّاس في الكلام ويبدو عليهم؛ هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، وقال الشيخ الألباني: صحيح (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ ٤، صـ ٣٧٠.

(١)رواه الترمذي،محمد بن عيسىٰ أبو عيسىٰ الترمذي السلمي، الجامع الصحيح سنن الترمذي، باب ما جاء في معاشرة الناس، قال أبو عيسىٰ هذا حديث حسن صحيح، قال الشيخ الألباني: حسن، جـ ٤، صـ ٣٥٥.

الكلام، كثير العَمَلِ، قليل الزَّلَلِ، قليل الفُضُول، بَرًّا وَصُولًا، وقورًا، صبورًا، شكورًا، رضيًّا، حليمًا رفيقًا، عفيفًا، شفيقًا، لا لعَّانًا ولا سبّابًا، ولا نمّامًا ولا مغتابًا، ولا عجولًا، ولا حقودًا، ولا بخيلًا ولا حسودًا، بشّاشًا هشَّاشًا، يُحِبُّ في الله، ويبغـضُ في الله، ويرضىٰ في الله، ويغضب في الله؛ فهذا هو حُسن الخُلُق"[1].

ويُنبِّه المصطفىٰ ﷺ إلىٰ أهميَّة حُسْن الخُلُق؛ في التعامل مع الآخرين؛ فيقول:

"إنَّكم لا تَسَعُونَ النَّاس بأموالِكم؛ ولكنْ يَسَعُهُم منْكم بَسْطُ الوجْهِ وحُسْنُ الخُلُق"[2].

وفي هذا الحديث الشريف عِظَةٌ نافعة وحِكمة بالغة؛ فإنَّ الإنسان مهما بَذَلَ من المال لا يحظىٰ برضىٰ الناس، ثم إنَّ المال ليس في مقدور كلِّ إنسان؛ ولكن في مقدور كلِّ واحدٍ أنْ يُحَسِّنَ خُلُقَه، ويُلِينَ جانبه، ويَخفض جناحه، ويَبسط وجهه.

وهذا الحُسْنُ في التعامل مع الآخرين؛ خيرُ مُعينٍ علىٰ تذليل صعوبات الحياة، وتخفيف آلامها؛ لأنَّه يبعث السرور في النفس، وبه تَطِيب المعاشرةُ، وتصفو المعيشةُ.

وبصورة عامة؛ فإنَّ الأسلوب الإسلامي في التعامل مع الناس؛ هو الأسلوب

---

(١)الغزالي؛ أبو حامد محمد بن محمد؛ إحياء علوم الدين، بذيله كتاب المغني عن الأسفار في الأسفار في تخريج ما في الأحياء من الأخبار؛ لزين الدين العراقي، تحقيق: أبو حفص سيد بن إبراهيم بن عمران (القاهرة: دار الحديث، ط.أولىٰ، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٥م)، جـ٣، صـ٨٢.

(٢)رواه الحاكم؛ أبو عبد الله محمد بن عبد الله النيسابوري، وقال صحيح، انظر المستدرك علىٰ الصحيحين، تحقيق: مصطفىٰ عبد القادر عطا، باب: الترغيب من بلوغ المرام، حديث رقم ٤٢٨ (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. أولىٰ، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م) جـ١، صـ ٢١٢.

الأمثل والأحسن، وهو الأسلوب الذي يعود بانعكاسات إيجابية علىٰ العلاقات الإنسانية.

ولا يزال المسلم الحق الملتزم بدينه، المحافظ علىٰ أخلاقه الإسلامية؛ أُسوة بين الناس، وقُدوة حسنة لهم، يُحبه كلُّ من يُخالطه، ويُسَرُّ لـه كل من يجالسه؛ تخلُّقُه بآداب الإسلام، ومكارم الأخلاق؛ جَعلَ منه نموذجًا حيًّا للشخصية الاجتماعية، الرَّاقية، المهذبة، النَّقية.

ويمثِّلُ حُسْنُ المعاملة وسيلةً مُهمَّةً من وسائل توحيد الصف الإسلامي؛ لما يحققه من تآلف بين القلوب، وتناصر بين النفوس؛ ولما يَتَمَخَّضُ عَنْه من حلٍّ كثيرٍ من المشكلات الاجتماعية.

ويُوجِّه القرآنُ الكريم المؤمنين إلىٰ ضرورة الالتزام بأدب المعاملة في بينهم؛ لأن الشيطانَ قد يستغلُ كلَّ كلمة طائشة؛ فبسبب كلمة قد يَتفرَّق الشَّمْلُ؛ فتَحُلَّ العداوة والبغضاء، وبسبب كلمة قد تتآلف قلوب؛ فتحلَّ المودَّةُ، وتزول الأحقاد والكراهية؛ قال تعالىٰ: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ [الإسراء:٥٣].

قال القرطبي: "أمرَ اللهُ تعالىٰ في هذه الآية المؤمنين فيما بينهم خاصَّة؛ بحُسن الأدب، وإِلانَة القَول، وخفض الجناح، وطرح نزغات الشيطان"(١).

"ولكي تصلَ البشرية إلىٰ وحدتها فتكونَ أمة واحدة، وإلىٰ تواصلها فتكونَ أُسرة واحدة؛ أمرَ الله -جلَّت حكمته- بحُسن الخُلُق، ولين القول، وجميل

(١)القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح: الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد عبد العليم البردوني، (القاهرة: دار الشعب، ط٢، ١٣٧٢هـ)، جـ١٠، صـ٢٧٧.

الفِعال؛ لأنه جميل يُحب الجمال، طيِّبٌ يُحب الطيِّبَ، وما علينا في سبيل الفَوز بمحبته؛ إلا أن نسعىٰ إلىٰ ذلك؛ بالتجمُّلِ بأخلاق القرآن، والتحلِّي بشمائل المصطفىٰ العدنان ﷺ؛ لأنَّ أعلىٰ مستوىٰ من مستويات الكمال؛ هو أن نتخلَّقَ بأخلاق القرآن التي جسَّدها الرسول الكريم ﷺ قولًا وعملًا؛ حتىٰ صار خُلُقُه القرآن"[1].

ثم إنَّ حُسن الخُلُق عند التعامل مع الآخرين، وعدم الردِّ علىٰ السفاهة بمثلها؛ خُلُقٌ كريم يُصفِّي القلوب، ويُزيل منها الضغائن والأحقاد، ويجعلنا نَتَجاوز الكثير من المشكلات الاجتماعية.

فممَّا لا شكَّ فيه؛ أنَّ القول السيئ، وما يتبعه من ردود أفعال؛ قد يُحدث مشاكل ومُضاعفات، يكون لها أسوأ النتائج، وهنا يأتي دور مقابلة الإساءة بالإحسان؛ في الإصلاح النفسي، والاجتماعي لنفوس الناس، وطبائعهم؛ وهذا المنهج في الإصلاح الاجتماعي واضح في قوله تعالىٰ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾ [الأعراف:١٩٩].

وقد رُويَ أنَّه لما نزلت هذه الآية؛ سأل النبيُّ ﷺ جبريلَ عنها؛ فقال: لا أعلمُ حتىٰ أسأل، ثم رجع؛ فقال: إنَّ ربك يأمرك أنْ تعفوَ عمَّنْ ظلمك، وتُعطي من حَرَمَك، وتَصْلَ من قَطَعَك[2].

(١)آقبيق، غازي صبحي: آيات قرآنية: ومضات من القرآن الكريم، (دمشق: دار الفكر، د.ط، د.ت)، جـ٢، صـ١٠٣.

(٢)انظر: الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، (بيروت: دار الفكر، د.ط، د.ت)، جـ٩، صـ١٥٥. الصنعاني، عبد الرزاق بن همام: تفسير الصنعاني، تحقيق: مصطفىٰ مسلم محمد، (الرياض، مكتبة الرشد، ط أولىٰ، ١٤١٠هـ)،جـ٢، صـ٢٤٦. القرطبي: الجامع =

والأمر بالمعروف الذي تتحدث عنه الآية الكريمة؛ قضية مُهمَّة في إصلاح المجتمع، وفي تحقيق مبدأ التكافل الاجتماعي بين أفراده في أحسن صورة؛ "ومما لا شك فيه؛ أنَّ إصلاح الفرد هو الخطوة الأولىٰ في إصلاح المجتمع، لأنَّ الإنسان خَليَّةٌ في جسد المجتمع البشري، إذا فَسَدتْ أضرَّتْ به وآلمته، وإذا صلُحتْ حملتْ له الأمل بالصحة والعافية، ولا يكفي أن يُصلح الإنسان نفسه؛ لأنه مسؤول أيضًا عن إصلاح أسرته الصغيرة، وكذلك عن الأسرة الإنسانية التي يعيش بين ظهرانيها"[1].

وفي معنىٰ هذه الآية؛ قِيل شعرًا:

خُـذ العفـوَ وأمـرْ بعـرفٍ كمـا ... أُمـرتَ وأعـرضْ عـن الجـاهلينْ

ولِـنْ في الكـلام لكـلِّ الأنـامِ ... فمُسْتحسنٌ مِنْ ذوي الجاه لِين[2].

وبالنظر في التصوِّر القرآني؛ لموضوع المعاملات، والأخلاق الإنسانية بالإحسان، وأنَّ موضوع الإحسان يَرمي إلىٰ أمدٍ بعيد في هذا الجانب؛ نجد أنَّ التوجيهات القرآنية في هذا المجال دلَّتْ علىٰ ثلاثة أمور:

الأول: المسألة الأخلاقية؛ ذلك أنَّ الإلزام والمسؤولية، والجهد المبذول؛ لتَقوية العلاقات الإنسانية، أو بناء المجتمع المسلم؛ إنما هو قيمة أخلاقية عُليا،

= لأحكام القرآن، جـ٧، صـ١٩٩. ٣٤٥.

(١)آقبيق، غازي: آيات قرآنية، جـ٢، صـ٩٦.

(٢)البيتان: لأبي الفتح البستي. انظر: القيراواني؛ أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري: زهر الآداب وثمر الألباب، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الجيل، ط. رابعة)، جـ٢، صـ٤٢٧.

علىٰ الإنسان المؤمن أنْ يلتزم بها؛ باعتباره إنسانًا واعيًا جديرًا بتحمِّل هذه المسؤولية؛ وهذا الشرف الرفيع.

الثاني: أنَّ القرآن أكَّد في حثِّه علىٰ صِلَة الرَّحم، والإحسان للفقير والمسكين، وتكريم اليتيم، وأدب التعامل مع الآخرين، وغيرها من الأمور التي تُنمِّي الصِّلات الإنسانية، وأَكَّد علىٰ أنَّ هذه الأعمال إنما هي أمورٌ تَعبديَّة يتقرّب بها الإنسان إلىٰ الله تعالىٰ، ويُثاب عليها.

الثالث: أنَّ القرآن أراد للإنسان المؤمن أنْ يَصِل إلىٰ مراحل متقدِّمة من الكمال؛ فأراد بالإحسان أنْ يُبرز مفهومَ التكافل الاجتماعي، ومبدأ الحرص علىٰ شفافية العلاقة بين المسلمين خاصَّة، وبين النَّاس عامَّة[1].

وبذلك؛ تَثبتُ لدينا قيمةُ الأخلاقِ في موضوع الإحسان، وأنَّه المدار الذي يُحرك آليات كل موضوعات الإحسان؛ في كل المجالات والمعاملات.

(١)الأعرجي؛ زهير: الأخلاق القرآنية (ط. دار الزهراء، ط.أولىٰ،سنة ١٤٠٧هـ،١٩٨٧م)، جـ٢، صـ ٢٣٤- ٢٣٥.

الفصل الثاني

درجاتُ الإحسان، وعلاقته بالعمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي

هناك علاقة وَطِيدة بين خُلُق الإحسان، والعمل الخيري، والإصلاح الاجتماعي، وهذا ما سنَسْتَبْينَه في الآتي:

❁ أولًا: درجات الإحسان:

قال ابن القيم رحمه الله: "الإحسان علىٰ ثلاث درجات:

الدرجة الأولىٰ: الإحسان في القصد؛ أي: في النِّيَّة بتهذيبه (أي: بتهذيب الإحسان) عِلْمًا، وإبرامه عَزمًا، وتصفيته حالًا.

الدرجة الثانية: الإحسان في الأحوال؛ وهو أن تراعيها غيرة، وتسترها تظرفًا، وتصحِّحها تحقيقًا؛ والمراد بمراعاة الأحوال: حفظها وصونها غيرة عليها أن تَحول، فإنها تمرُّ مرَّ السحاب، وتكون المراعاة أيضًا؛ بدوام الوفاء، وتجنب الجفاء.

[illegible] تزيل المشاهدة أبدًا، وألا تخلط بهمَّتك أحدًا، وتجعل هجرتك إلىٰ الحق سرمدًا"[1]

(١)عبد الله الأنصاري الهروي؛ منازل السائرين (ط. دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٨ - ١٩٨٨م) صـ ٧٥.

وفيما يأتي؛ نأخذ علىٰ هذه الدرجات بالتوضيح والبيان:

❁ الدرجة الأولى: الإحسان في القَصْد:

" ويكون بثلاثة أشياء **أحدها**: تهذيبه عِلمًا؛ بأن يجعله تابعًا للعلم علىٰ مُقتضاه، مُهذبًا به، مُنقًّىٰ من شوائب الحظوظ، فلا يقصد إلا ما يجوز في العِلْم؛ والعِلمُ: هو اتِّبَاع الأمرِ والشَّرع، **والثاني**: إبرامه عزمًا؛ والإبرام: الإحكام والقوة؛ أي يُقارنه عزمٌ يُمضيه، ولا يَصحبه فُتُورٌ وتَوان يُضعفه ويُوهنه، **الثالث**: تصفيته حالًا؛ أي يكون حالُ صاحبه صافيًا من الأكدار والشوائب؛ التي تدلُّ علىٰ كَدَرِ قَصْدِه؛ فإن الحال مظهر القَصْدِ وثمرته، وهو أيضًا مادته، وباعثه؛ فكلٌّ منهما يَنْفعل عن الآخر؛ فصفاؤه وتخليصه من تمام صفاء الآخَرِ وتخليصه" (١).

وحُسْنُ القَصْدِ؛ هو الْمُعَوَّلُ عليه في التَّصاريف، والأعمال في العبادة، وغيرها؛ "بحيث لا يكون الحظُّ الدُّنْيَويِّ هو الباعثُ علىٰ العبادة؛ مثل أن يعبدَ اللهَ ليمدحَه النَّاسُ؛ بحيث لو تعطلَ المدحُ لتركَ العبادةَ؛ ولذا قِيل: الرِّياء؛ الشِّرك الأصغر؛ أي إذا كان هو الباعث علىٰ العمل؛ ومثل ذلك أن يقاتلَ لأجل الغنيمة، فلو أَيِسَ منها تَرَكَ القتالَ، فأمَّا إنْ كان للنفس حظٌّ عاجلٌ، وكان حاصلًا تبعًا للعبادة، وليس هو المقصود؛ فهو مغتفر، وخاصة إذا كان ذلك لا تخلو عنه النفوس، أو كان مما يعين علىٰ الاستزادة من العبادة" (٢).

---

(١)محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور؛ التونسي؛ التحرير والتنوير، المعروف بتفسير ابن عاشور (مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان، طبعة أولىٰ، ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م)، جـ ٢٤، صـ ١١.

(٢)ابن القيم؛ محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله؛ مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، تحقيق: محمد حامد الفقـي (ط. دار الكتاب العربي – بيروت، ط.ثانيـة، ١٣٩٣ =

وفي إحسان القَصْدِ رُوِيَ عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «إنما الأعمال بالنِّيَّات، وإنما لكل امرئ ما نوىٰ؛ فمن كانت هجرته إلىٰ الله ورسوله فهجرته إلىٰ الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلىٰ دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها؛ فهجرته إلىٰ ما هاجر إليه»(١).

فحُسْنُ القَصْد مكفول من حُسْنِ النِّيَّة؛ قال الله تعالىٰ: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف:١١٠].

ومعناه: أنَّ من عمل عملًا علىٰ غير إخلاص وحُسْن قصد، وإنما يُريد أن يراه النَّاس ويَسمعوه؛ جُوزي علىٰ ذلك بأن يُشهره الله، ويفضحه، ويُظهر ما كان يُبطنه، وقِيل: من قَصَدَ بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يُرد به وجه الله؛ فإن الله يجعله حديثًا عند الناس؛ الذين أراد نَيْلَ المنزلة عندهم، ولا ثوابَ له في الآخرة؛ قال تعالىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [هود:١٥-١٦]، (٢).

= ١٩٧٣م) جـ٢، صـ٤٦٠.

(١)أخرجه البخاري؛ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله؛ البخاري، الجعفي، الجامع الصحيح المختصر، تحقيق: د. مصطفىٰ ديب البغا، كتاب الأيمان والنذور، باب: النِّيَّة في الأيمان، (دار ابن كثير، اليمامة – بيروت، طبعة ثالثة، ١٤٠٧ – ١٩٨٧م) جـ٦، صـ٢٤٦١.

(٢)محمد بن عبد الوهاب؛ الكبائر، (وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد – المملكة العربية السعودية، طبعة: الثانية، ١٤٢٠ هـ) صـ٤٢.

❁ ثانيًا: علاقة الإحسان بالعمل الخيري، وانعكاس ذلك على إصلاح المجتمعات:

يرتبط الإحسان بالعمل الخيري ارتباطًا وثيقًا؛ فالإحسان يَرسم للعمل الخيري طريقًا يتناغم مع نسيج الحياة والكون، وتتلخص تلك العلاقة في الأشكال الآتية:

أولًا: علاقةُ تلازمية بإحسان الطلب:

يتلازم العمل الخيري مع الإحسان تلازمًا تنعكس عنه نتائج حَتْمية تترتب عليه، أَرستْ الشريعةُ نظامًا يتماشىٰ مع المقتضيات والمصالح الاجتماعية، بدايةً من القاعدة الأولىٰ؛ وهي قوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْبَيْعُ مِثْلُ ٱلرِّبَوٰاْ ۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ ۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَمَنْ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[البقرة:٢٧٥]، وفيها توجيه ربَّاني إلىٰ إحسان التَّكسُّبِ بطلب الحلال، وذلك صريح بتحريم الرِّبا لما له من خطر عظيم ودمار شامل للمجتمع، وأضرار جسيمة؛ حيث "يجد صاحبُ المال في النظام الرِّبوي فرصةً للحصول علىٰ نسبة مُعينة من الرِّبا علىٰ ماله؛ وهذا يَصرفُه عن استثمار ماله في مشروعات صناعية وزراعية وتجارية؛ مهما كانت ضرورية ومفيدة للمجتمع، إلا إذا اعتقد حصول نسبة ربح أكثر من تلك المشروعات تربو علىٰ نسبة الربا، وقد لا يرغب مع ذلك في تلك المشروعات، حيث إنها تتطلب بذل الجهد واستعدادًا لتحمل الخسارة، في حين يتمكن فيه صاحب المال من الحصول علىٰ الرِّبا بدون مشقة ومخاطرة"[1] وقد استلهم علماؤنا حكمة تحريم الرِّبا بعد تشخيص عِلَلِه، وما

(١) فضل إلهي ظهير، التدابير الواقية من الرِّبا في الإسلام، (ط.مكتبة ابن تيمية، طبعة ثانية، سنة ١٤٠٨هـ - =

يُسبِّبَه من عمليةٍ تَعسُّفِيَّةٍ، ومشكلات واقعية؛ تُعيق مَسيرَ الأمَّةِ نحو التنمية؛ وقد كشفتْها عجلةُ الزمن بعد ظهور فَجوة حضارية بين ماضي الأمَّة وواقعها؛ فيقول صاحب مفاتيح الغيب في بيان ما يسببه الرِّبا؛ من تواكل، وتقاعس؛ مما يُؤثِّرُ سَلبًا علىٰ حركة التنمية المجتمعية: "إنَّما حَرَّمَ اللهُ الرِّبا من حيث إنَّه يمنع النَّاس من الاشتغال بالمكاسب؛ وذلك لأنَّ صاحبَ الدِّرهم إذا تمكَّن بواسطة عَقْدِ الرِّبا من تحصيل الدراهم الزائدة؛ خفَّ عليه التَّكَسُّبُ، فلا يَكادُ يتحملُ مَشَقَّةَ الكَسب والتجارات والصناعات الشَّاقة، وذلك يُفضي إلىٰ انقطاع منافع الخَلْق، ومن المعلوم أنَّ مصالح العالم لا تَنْتَظِمُ؛ إلَّا بالتجارات، والحِرَف، والصناعات، والعمارات"[1].

يقول الشيخ الدهلوي [2]: "وإذا جرىٰ الرَّسْمُ باستثمار المال بهذا الوجه ـ

=

١٩٨٨م) صـ ٨٢.

(١) الإمام فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي؛ التميمي، البكري، الرازي؛ التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب، تقديم: هاني الحاج، تحقيق: عماد زكي البارودي، (ط. المكتبة التوفيقية، د.ت) جـ ٨ صـ ٨٦.

(٢) هو: أحمد بن عبد الرحيم؛ الفاروقي، الدهلوي، الهندي، أبو عبد العزيز، الملقب شاه ولي الله، فقيه حنفي من المحدثين، وُلد سنة ١١١٠هـ ـ ١٦٩٩م وهو من أهل دهلىٰ بالهند، زار الحجاز (١١٤٣هـ ـ ١١٤٥هـ) قِيل عنه: أحيا اللهُ به، وبأولاده، وأولاد بنته، وتلاميذهم الحديث والسُّنَّة بالهند؛ بعد مواتهما، وسُمي الدهلوي بولي الله بن عبد الرحيم، ومن كتبه (الفوز الكبير في أصول التفسير، وإزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء، والإنصاف، وعقد الجيد، وغيرها) قِيل في وفاته: أنها كانت في سنة ١١٧٦هـ ـ ١٧٦٢م، وقِيل سنة ١١٧٩هـ. راجع: الأعلام، قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين، للإمام خير الدين الزركلي،(ط. دار العلم، بيروت، د.ت) جـ ١ صـ ١٤٩،.

الرِّبا ـ؛ أَفْضَىٰ إلىٰ تَرْك الزراعات والصناعات؛ التي هي أُصول المكاسب"[1].

ومن هنا لم يكن تحريم الرِّبا بِدعًا علىٰ نظام المجتمع والحياة، ولكنَّه ينبثق من تشريع الله تعالىٰ؛ الذي يتكيَّفُ مع الوضع الصحيح لأمور الحياة، بل؛ هو الوضع الوحيد الصالح للحياة، ومتىٰ فُقِدَ هذا الوضعُ المتناسق مع طبيعة الحياة؛ فلا مفرَّ من تَعَاسة الناس، وشقوتهم مهما استطاعوا أو حاولوا لتوفير تسهيلات مادِّيَّة وإنتاجية، ولا تلبثُ نظمهم الأرضية؛ إلا قليلًا وتتحطم وتتدمر؛ لتعارضها مع فِطرة الكون وفِطرة الحياة، وهي النتيجة الطبيعية التي أثبتها علماء الاقتصاد الغربيين؛ فيقول توماس كلبيبر (Sir Thomas Culpepper): "إنَّ ارتفاع سعر الرِّبا يجعل النَّاس كُسالىٰ في مهنهم، ويصيرون مُرابين، ويُتيح الانخفاضُ في السعر الرسمي للرِّبا فرصةً لتطوير الزراعة، وسينفخ الروح في صناعاتنا الميِّتَة) ويقول الاقتصادي الألماني سيلفو جيزيل (Silvio Giselle): "قد حالَ مُعدَّلُ فائدة النقود دونَ نمو رأس المال، ولو أُزيل هذا الحاجز سينمو رأسُ المال سريعًا؛ إلىٰ درجةٍ تُبرِّرُ انخفاضَ سعر الرِّبا إلىٰ الصفر، ولا يحدث هذا في آنٍ واحد؛ لكنْ في فترة وجيزة من الزمان" [2].

وبهذا يُحقق إحسانَ التعامل؛ علىٰ الأساس المشروع إلىٰ الأمان في حركة التجارة والاستثمار، مما يزيد في التنمية الاقتصادية، ويُسرع في زيادة الإنتاج، وفي الوقت نفسه؛ دَعَّمتْ الشريعة ضميرَ الإنسان بعنصر الثِّقةِ فيه، ورفعتْ من مكانة التاجر الصَدُوق، وحفَّزَتْه؛ لتحققَ له التقدمَ المادِّي في الدنيا، والرُّقي إلىٰ أعلىٰ

(١)أحمد المعروف بشاه ولي الله الدهلوي، حجة الله البالغة، (ط. المكتبة السلفية، سنة ١٣٩٥هـ) جـ ٢ صـ١٠٦.

(٢) فضل إلهي، التدابير الواقية من الرِّبا في الإسلام، صـ٨٣.

المقامات في الآخرة؛ وذلك قِمَّةُ التَّقدم والتَّحضر؛ الذي يَصِلُ الدنيا بالآخرة، والدِّين بالدُّنيا؛ قال رسول الله ﷺ: «التاجر الصَدُوق الأمين مع النبيين والصدِّيقين والشُّهداء» (١)، وقال ﷺ في التحذير من مخالفة ذلك: "من غَشَّنَا فليس منَّا، والمكر والخداع في النار" (٢).

ثانيًا: علاقة ترابطية:

تربطُ العملَ التنموي الخيري بالإحسانِ علاقةٌ وطيدة؛ فمثلًا تتوقفُ تنميةُ حالةِ الفرد المعيشية؛ علىٰ إحسانه في عمله، وطلبه، وحسن قصده في توكُّلِه علىٰ الله تعالىٰ، وإذا فَقَدَ الإنسانُ إحسانه في طلبه؛ تضاءَل مستوىٰ معيشته، وتراجع نمو كَسبه، ولَقَي الهوان.

وقد استعملَ الإسلامُ تحريك الشعور بالكرامة الإنسانية، وحفظَ الإنسان من الهوان والإهانة؛ أداةً لتدافع الهِمَم نحو إحسانِ البيع، والشراء، والتجارة، والتكسب؛ يقول رسول الله ﷺ: «لأنْ يحتطِبَ أحدُكم حِزْمَةً علىٰ ظهره فيبيع، فيكُفَّ الله بها وجهَه؛ خيرٌ له من أنْ يسألَ النَّاسَ؛ أُعطيَ أم مُنعَ» (٣)، وقد أَهَّلَ النبيُّ

(١) رواه الترمذي؛ في سُننه وقال حديث حسن. راجع: صحيح الترغيب والترهيب، للشيخ: محمد ناصر الدين الألباني، باب: الترغيب في الاكتساب، (ط. مكتبة المعارف، الرياض، طبعة خامسة، د.ت) جـ ٢ صـ ١٦٢.

(٢) أخرجه ابن حبان؛ في صحيحه، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وقال الهيثمي: رجاله ثقات، وقال المنذري في الترغيب والترهيب: إسناده جيد. راجع: إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، للشيخ: محمد نصار الدين الألباني، (ط. المكتب الإسلامي، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م) جـ ٥ صـ ١٦٤.

(٣) رواه البخاري. انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، بتحقيق: عبد العزيز بن باز، ومحمد فؤاد عبد الباقي، كتاب: المساقاة، باب: بيع الحطب والكلأ، (ط. دار الحديث، د.ت) جـ ٥ صـ ٥٥.

ﷺ العاطلَ ليكونَ عُنصرًا فاعلًا، ومُستثمرًا بارزًا، بعد أن كان بطَّالًا لا يُنتج؛ حتىٰ عادَ النَّفعُ للمجتمع؛ لأنه إذا تحوَّل إلىٰ رجل أعمال، سيُخْرِجُ زكاتَه؛ مما يسدُّ أبواب العَجزِ عن عناصر المجتمع؛ الذين لا يسألون النَّاس إلحافًا، وتُبَيِّنُ الشريعة أنَّ العمل للاستثمار وحدَه بدون مَزْجِهِ بروح الدِّين، والتوكُّلِ علىٰ الله؛ يُعدُّ عقيمًا؛ فالإحسان في طلب الرزق، مع التوكُّل علىٰ الله تعالىٰ؛ لا ينفصلان؛ لذا كان من الْمُنْزَلقَات أن تنشغلَ الأمَّةُ بجَوْعَةِ الجسدِ، وما يتعلق بها من الإنتاج بشتَّىٰ وسائله وصنوفه، ومن المتاع الحسِّي بشتَّىٰ ألوانه ومذاقاته، وتغافلتْ أنَّ هذه الجَوْعَةَ لا تَسْتَوْعِبُ الكيانَ الإنساني، وإشباع سائر الجَوعَات الإنسانية، وأنَّ سدَّ هذه الجَوعَات مُتَرَتِّبٌ علىٰ الشَّبْعة الإيمانية المرتبطة بالإحسان في التوكل؛ وهو معنىٰ قول النبي ﷺ في ضمان الرزق؛ إذ انبثق من ذلك فيما رواه عمر بن الخطاب قال:

قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّكم كُنتم تَوَكَّلُون علىٰ الله حقَّ تَوَكُّلِهِ لرزَقَكَم كما يرزقُ الطيرَ تَغْدو خِماصًا وتَروح بِطانًا» (١).

وبذلك؛ تتلازم الحركة الذاتية للإنسان مع حركة الإحسان؛ مما يضمنُ الشَّبعة الروحية والجسدية علىٰ حدٍّ سَويٍّ؛ فعلىٰ نفس المسير والقاعدة انطلقتْ الدولةُ الإسلامية، وسارَ الصحابة الكرام رضي الله عنهم في بناء الأمَّة المسلمة بناءًا مُحكمًا لا تُقاربه هزَّةٌ، ولا تُزلزله عاصفةٌ، فهذا عمر بن الخطاب يَتَنَبَّه إلىٰ ما

(١) قال الإمام العجلوني: رواه أحمد، والطيالسي؛ في مسنديهما، والترمذي، وابن ماجه عن عمر مرفوعًا، وصحَّحَه ابن خزيمة، وابن حبان، والحاكم، وحسَّنَه الترمذي. انظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث علىٰ ألسنة الناس؛ للإمام إسماعيل بن محمد؛ العجلوني، الشافعي، (ط. دار الكتب العلمية، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م) جـ ٢ صـ ١٣٩.

تَنَبَّهَ له رسولُ الله؛ انطلاقًا من هَيمنة الشريعة علىٰ تصرُّفات النَّاس؛ فقد وجَّه عمرُ عاطلًا لا يستثمرُ، ولا يُنمِّي، حينَ دخلَ عليه ذلك الشابُّ العاطلُ، الفَتَىٰ القوي؛ وهو في المسجد، وفي يده مشاقِص[1] قائلًا من يُعنيِّ في سبيل الله؛ فدَعَا به عمر؛ فأتىٰ به، قال: مَن يستأجر مني هذا يعملُ في أرضه؟ فقال رجل من الأنصار: أنا يا أمير المؤمنين، قال: بكم تأجرُه كلَّ شهر؟ قال: بكذا بكذا، قال: خذْهُ؛ فانطلقَ به، فعملَ في أرض الرجل أَشْهُرًا، ثم قال عُمرُ للرَّجل: ما فعل أجيرُنا؟ قال: صالحٌ يا أمير المؤمنين، قال: ائتني به وبما اجتمعَ له من الأجر، فجاء به وبصرَّة من دراهم، فقال: خذْ هذه، فإن شئت فالآن اغزُ، وإنْ شئتَ فاجلس[2]؛ بهذه المتابعة الشرعية من أمير المؤمنين تَنْطلقُ الهِمَمُ؛ لتُلغىٰ البطالةُ، وما هذه المتابعة الإدارية التي بدتْ في عمر؛ إلا لأنَّه تَذَرَّعَ في مدرسة الشريعة علىٰ عَيْنِ النبي ﷺ، والتي تَعَلَّم فيها أيضًا كيف يجمع بين العلم الشرعي والعمل الدُّنيوي؛ دون أن يُعطلَ أحدُهما الآخَر، ودون أن يستغنىٰ أحدُهما عن الآخر، لأنهما رُوح وجسد؛ يقول عمر رضي الله عنه: "كنتُ أنا وجار لي من الأنصار في بني أمية بن زيد -وهي من عوالي المدينة- وكنا نَتَنَاوبُ النُّزول علىٰ رسول الله ﷺ، ينزلُ يومًا وأنزلُ يومًا، فإذا نزلتُ جئته بخبر ذلك اليوم من الوحي وغيره، وإذا نزل فعل مثل ذلك"[3].

---

(١) مشاقص: جمع مِشْقَص؛ من النصال الطويل وليس بالعريش، وهو شرُّ النَّبل؛ يُرمَىٰ بها الصيد. راجع: لسان العرب، لابن منظور، باب: شقص، جـ ٧ صـ ٤٨، مرجع سابق.

(٢)علي المتقي؛ علاء الدين الهندي؛ كنز العمال في سُنن الأقوال والأفعال، كتاب: البيوع من قسم الأفعال، باب: في الكسب، رقم ٦٦٣، (طبعة مجلس دائرة المعارف، طبعة ثانية، سنة ١٣٧٣هـ) جـ ٤ صـ ٦٩.

(٣) رواه البخاري؛ في صحيحه،انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، لابن حجر العسقلاني، كتاب: العلم، باب: التناوب في العلم، رقم الحديث ٨٩، جـ ١ صـ ٢٢٥.

وكذا كان أبو بكر الصديق ﷺ من كبار رجال الأعمال المستثمرين؛ فكان يضربُ في الأسفار؛ للاكتساب بالتجارة، وقد سافر إلىٰ بُصرىٰ [(١)] للتجارة [(٢)]؛ وفي ظلِّ هذا المزجِ بين العمل الاقتصادي وروح الشريعة؛ يُنقذُ الإسلامُ البشريةَ المهددَّةَ في كينونتها الإنسانية، ويُحطِّمُ قفصَ المادية الصِّرْفَةِ؛ حتىٰ ينصهرَ في روح الإيمان، فتسعدَ الإنسانيةُ بالغِنَىٰ الشاملِ؛ ماديًا، ونفسيًا.

ثالثًا: علاقة تَضْمنيَّة:

إنَّ العمل الخيري في أعلىٰ درجاته وصوره ينبعث من روح الإحسان؛ "فالزَّكاة مثلًا تلعبُ دورًا اقتصاديًا كبيرًا في حقِّ التشغيل الكامل؛ سواء من خلال عدم إعطائها للقادرين علىٰ العمل، دفعًا لاشتراكهم في النشاط الاقتصادي، أو من خلال رأس المال الإنتاجي للفقراء والمساكين؛ الذين عجزتْ إمكاناتُهم الذاتية عن توفيره؛ بشكلٍ يُساعدهم علىٰ التَّحَوُّل إلىٰ طاقات مُنتجة تُفيد المجتمع بأَسْره"[(٣)].

(١) بُصرىٰ: من أرض الشام، من أعمال دمشق، وهي مدينة حوران. راجع: الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميري، بتحقيق: إحسان عباس، (مؤسسة ناصر للثقافة، طبعة دار السراج، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٩٨٠م) جـ ١ صـ ١٠٩.

(٢) رواه الحافظ؛ نور الدين علي بن أبي بكر، الهيثمي؛ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، باب: الكسب والتجارة ومحبتها والحثُّ علىٰ طلب الرزق، وقال الهيثمي: رواه الطبراني؛ في الكبير والأوسط بنحوه، ورجال الكبير ثقات (ط. دار الكتاب العربي، بيروت، طبعة ثالثة، سنة الطبع سنة ١٤٠٢هـ) جـ ٤ صـ ٦٢، ٦٣.

(٣)عمر فيحان المرزوقي، النشاط الاقتصادي من منظور إسلامي، صـ ٢٧١، ٢٧٢، وهو بحثٌ في مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الصادرة عن مجلس النشر العلمي بجامعة الكويت، العدد الخامس والأربعون، بتاريخ سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠٠م.

لذا قال بعض العلماء: "أنَّ الفقير والمسكين الذي يُحسن الحِرفة، يُعطي من مال الزَّكاة ثمنَ آلةِ حِرفته وإن كثرتْ"(١).

وبذلك يُخطئ من يزعم أن الزَّكاة تُسهم في زيادة البَطالة، وما ذلك إلا مُجرد افتراء، لا يقبله عقلٌ؛ "فدورُ الزَّكاة لا يقفُ عند رفع مستوىٰ التشغيل في الاقتصاد الإسلامي، بل؛ يمتدُّ إلىٰ الارتقاء بمستوىٰ النشاط الاقتصادي؛ حينما تُشَجِّعُ استثمارَ الأموال الْمُجَمَّدَةِ" (٢)

ومن الأنظمة الإسلامية التي تحلُّ مشكلة الفقرِ، وتَرَاجُعَ المجتمع الْمُسلم اقتصاديًا، وتَدْفَعُ لاستثمار أموالِ الزَّكاة:

أولًا: نظام الإحسان بالتمويل؛ عن طريق الْمُضَارَبَة: بالرجوع إلىٰ المصادر اللُّغوية؛ تَبَيَّنَ أنَّ الْمُضَارَبَة مأخوذةٌ من الضَّرْبِ؛ فقد جاء في لسان العرب: "الْمُضَارَبَةُ أن تعطيَ إنسانًا من مَالِكَ ما يتَّجِرُ فيه؛ علىٰ أن يكونَ الرِّبْحُ بينكما، أو يكونَ لهم سَهْمٌ معلومُ الرِّبحِ، وكأنَّه مأخوذ من الضَّرْبِ في الأرض؛ لطلب الرزق؛ قال تعالىٰ: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾[المزَّمل:٢٠]، وعليه؛ يُقال للعامل "ضارَبٌ" لأنَّه هو الذي يَضربُ في الأرض، وجائز أن يكونَ كلُّ واحدٍ من ربِّ المال، ومن العاملِ؛ سُمِّيَ مُضَاربًا، لأنَّ كلَّ واحدٍ منهما يُضارب صاحبَه" (٣)، وفي القاموس المحيط: "ضرب الطير تَضرب: ذهبتْ تبتغي الرزق،

(١) شمس الدين محمد الرملي، نهاية المحتاج إلىٰ شرح المنهاج، (طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة ثالثة، سنة ١٤١٣هـ) صـ ١٦١.

(٢)عبد الحميد الإبراهيمي، العدالة الاجتماعية والتنمية في الاقتصاد الإسلامي، (مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، د.ت) صـ ٧٧.

(٣) العلامة محمد بن مكرم بن منظور؛ الأفريقي، المصري، لسان العرب، مادة: ضرب، جـ ١ صـ ٥٤٣.

وعلىٰ يديه أمسك، وفي الأرض ضربًا وضَرَبانًا: خرج تاجرًا، أو غازيًا، أو أسرع أو ذهب"[١].

واصطلاحًا: "هي أن يدفعَ رجلٌ مالَه إلىٰ آخر؛ يتجِّرُ له فيه، علىٰ أن ما يحصل من الرِّبح بينهما علىٰ حسب ما يشترطانه"[٢].

والْمُضَارَبَة: "فكرة استثمارية مُتحررة من الفائدة وألوان الرِّبا، ثابتةٌ في النظام الاقتصادي الإسلامي، يقول في شأنها أحدُ خبراء الاقتصاد المسلمين[٣]:

"إنَّ أهمَّ ما يُمكن أن يحققَه النظامُ المتحرر من الفائدة؛ هو إنشاءُ مؤسسات علىٰ أساس الْمُضَارَبَة؛ بشكل رأس المال، والعمل شَرَاكة في العمل، يتقاسمان الأرباحَ والخسائرَ بصُورة عادلة، وتكون خدمة جلية للجِنْسِ البشري؛ إذا استطعنا أن نحلَّ الصُّلْحَ محلَّ الخلافات الْمُسْتَحْكَمَةِ بين رأس المال والعمل دُفعةً واحدة؛ في نظرية الْمُضَارَبَة وممارستها؛ وإذ ذاك يعملُ رأس المال والعملُ معًا؛ في وجود جوٍّ وِدِّيٍ من التعاون؛ بغِيَّةِ تَفاهمٍ أفضل يُواجه الاضطرابات العُمَّالية في الحقل الوطني، والحروب الباردة علىٰ الصعيد الدولي، ويمكن ازدهارُ وتنميةُ الزراعة والصناعة والعمال علىٰ هذا المبدأ، وسيُساعد هذا التدبيرُ إلىٰ حدٍّ بعيد في

---

(١) مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة: ضربه، (ط. المؤسسة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت) جـ ١ صـ ٩٨، ٩٩.

(٢) الإمام موفق الدين؛ أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامه، المقدسي، الدمشقي، الحنبلي، المغني، (ط. مكتبة الرياض الحديثة، د.ت) جـ ٥ صـ ٢٦.

(٣) س. أ. أرشاد، وهو خبير اقتصادي، كان مديرًا لمصرف "اندوستريال أوريان كوبراتيف بنك" العالمي، وهو صاحب نظرية "مصارف بلا فائدة"، وقد صنَّف كتابًا بهذا الصدد يحمل نفس العنوان.

تجنيد رأسِ المال واستخدامِ العمل في نطاق واسع، كما سيُبَرهنُ علىٰ أنه أجْدَىٰ طريقة في تشغيل الجميع، وتوفيرٌ لكلِّ مواطن حاجاته الأساسية، واستئصال الفَاقَة من المجتمع" (١).

وبهذا؛ تَسِيرُ المنظومة الاقتصادية والمناقب الأخلاقية جنبًا إلىٰ جنب بإشراف الشريعة، ولا يُمكن فصلُ بعضُها عن بعض، وقد أقرَّتْ الشريعةُ مبدأَ الْمُضَارَبَة وكان موجودًا قبل الإسلام؛ "فالْمُضَارَبَة كانتْ مشهورة في الجاهلية، لا سيما قريش، فإنَّ الأغلبَ كان عليهم التجارة، وكان أصحاب الأموال يدفعونها إلىٰ العمال، ورسول الله ﷺ قد سافر بمال غيره قبل النُّبوة؛ كما سافر بمال السيدة خديجة ـ رضي الله عنها ـ، فلما جاء الإسلام أقرَّها رسول الله ﷺ، وكان أصحابه يُسافرون بمال غيرهم مضاربةً، ولم ينْه عن ذلك، والسُّنَّة قوله وفعله وإقراره، فلما أقرَّها كانتْ ثابتة بالسُّنَّة"(٢).

وإذا سَرَىٰ هذا النَّسَقُ علىٰ حياة الإنسان الاقتصادية؛ تَسَنَّىٰ له أن يحقق ازدهارًا شاملًا ومتوازنًا، وفي أحيان كثيرة نَجِدُ شبابًا فقيرًا يمتلكون القُدرة علىٰ العمل والابتكار، لكنهم يفتقدون المال لتحقيق طموحاتهم الابتكارية، ويَتَجَلَّىٰ

(١) س. أ. أرشاد، التنظيم الاقتصادي لمجتمع اقتصادي متحرر من الفائدة، وهو بحث من عدة أبحاث في كتاب بعنوان: "الإسلام والمعضلات الاجتماعية الحديثة"؛ بقلم عشرة من علماء الإسلام، (ط. دار الكتاب العربي، طبعة أولىٰ، سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م) صـ ٨٢.

(٢) ابن تيمية؛ مجموع فتاوىٰ ابن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن بن محمد وابنه محمد، (ط. دار المعارف، د.ت) جـ ١٩ صـ ١٩٥ باختصار يسير، وراجع: حاشية الصاوي علىٰ الشرح الصغير؛ للشيخ أحمد بن محمد الصاوي المالكي، (ط. عيسىٰ البابي الحلبي وشركاه، د.ت) جـ ٥ صـ ١٨١.

حلُّ هذه المشكلة في عقد التمويل بالْمُضَارَبَة؛ الذي أرسىٰ له الفقهاء نظامًا مَرِنًا في التطبيق علىٰ أرض الواقع؛ سدًّا لحاجات المموَّلِين، وخُصوصًا المتخرجين في الجامعات والمعاهد الفنية المتخصصة في مجال الصناعة، والهندسة المعمارية، والأجهزة المتطورة، وكذلك حملة الشهادات المهنية في مجالات الخياطة، والنقاشة، والنجارة، والحِدادة، والخِراطة، ومن الممكن أن تُوَجِّهَ العمليةُ الاستثمارية؛ المتعاقَد عليها بين الصندوق والعامل المتخصص؛ الفقيرَ من الشباب العاطل علىٰ نظامين:

١ ـ **نظام العقد الدائم**: وفيه تَسْتَمرُّ عمليةُ الْمُضَارَبَة ما بقىٰ المشروع الاستثماري؛ سواء كان مصنعًا، أو شركة، أو زراعة، أو غير ذلك.

٢ ـ **نظام العقد التدرجي الْمُفْضِي للتَّمليك**: علىٰ أن يُسدِّدَ صاحبُ المهنة أو الحِرفة رأس المال للخزانة؛ بنظام التقسيط علىٰ الأجل المحدد؛ المضروب بينه وبين الخزانة؛ في مقابل ملكيته بعد انتهائه من آخر قِسط.

وبهذا؛ يتم استثمار الطاقات المكنونة، والقُوىٰ المخزونة في سَوَاعد وعقول الشباب؛ بطريقة مَرنة ومثمرة؛ مما يُحَقق الرخاء للأمَّة المسلمة كلِّها.

ثانيًا: نظام التمويل بالقَرْض الحَسَنِ: القرضُ هو: (أنْ تُعطيَ إنسانًا شيئًا بعينه من مالك تدفعه إليه، ليردَّ عليك مثلَه إما حالًا في ذمته، وإمَّا إلىٰ أجلٍ مُسمىٰ)[1].

ومنه ما ورد عن ابن عباس رضي الله عنهم قال: قَدِمَ النبي ﷺ المدينةَ وهم يُسلِّفون في الثمار السَّنة والسنتين، فقال «من أسْلَف في تَمْرٍ فلْيُسْلِف في كل

(١) الإمام ابن حزم، المحلىٰ، جـ٨، صـ٤٦٢، مرجع سابق.

معلوم ووزن معلوم إلىٰ أجلٍ معلوم»[1]، وتَتَجَلَّىٰ حكمة القرض الحَسَن؛ في دَفْع عجلة البناء المتكامل؛ في التعاون الاستثماري القائم علىٰ البرِّ والتقوىٰ، ودفع العَراقِيل الماثلة في طريق التنمية من الكُروب علىٰ شَتَّىٰ ألوانها وأشكالها.

وقد بَيَّنَ النبيُّ ﷺ ضابط القَرْضِ بلِسَانِ الشريعة؛ حين قال: «من أخذَ أموال النَّاس يُريد أداءها؛ أدَّىٰ اللهُ عَنْه، ومن أخذها يُريد إتلافها؛ أَتْلَفَه اللهُ»[2].

والقَرْضُ الحَسَنُ من النِّقاط الرئيسة القوية؛ التي تُوفِّرُها الشريعةُ لبناء المجتمع المسلم؛ في هيئة اقتصادية ذات صلاحية سَرمدية؛ فهو يعمل علىٰ تعبئة الموارد البشرية المحدودة الإمكانات، ويَسْتعملُهم في تحقيق الأهداف المنتخبة لصالح الخزانة الخيرية العامة.

وتَرسُم السُّنَّةُ النبويةُ إيمانيةَ منهج التعامل الإقراضي بالإحسان؛ عن طريق ربط العلاقة الوُدِّية بين الْمُقْتَرِض والْمُقْرِض، نَظرًا لظروف الْمُقْتَرِض؛ والتي تحمل عِلَّتَيْن:

الأولى: الإحسان بالعاجز؛ عن السَّدادِ بإنظاره: حيثُ يعجزُ الفرد عن سداد القرض؛ نظرًا لشدة حاجته، والأفضل في هذه الحالة إِسْقاط الخزانة أو الصندوق لهذا القَرْضِ عن الْمُقْتَرِض، وقد بَثَّ النبيُّ ﷺ روحَ الإحسان في مثل هذه

(١) صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب: المساقاة والمزارعة، باب: السلم، جـ ٦ صـ ٤١، مرجع سابق.

(٢) رواه البخاري؛ في صحيحه، انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني،كتاب الاستقراض، باب: من أخذ أموال النَّاس يُريد أداءها أو إتلافها، برقم ٢٣٨٧، جـ ٥ صـ ٥٣، مرجع سابق.

الأحوال فقال: «من أنظَرَ مُعسِرًا أو وضع عنه، وَقَاهُ الله من فَيْحِ[1] جَهنَّم»[2].

الثانية: الإبقاء على الإحسان؛ عند إمكانية السداد بالإنظار: وفي هذه الحالة قد يُثبتُ الْمُقْتَرِض جدارتَه في استثمار القرضِ؛ إلا أنَّه يحتاجُ إلىٰ مُهلة تُؤهله لتحصيل نسبة أكبر من العائد والدخل؛ ومثل هذا ينظر، يقول النبي ﷺ مُبينًا ربطَ الاقتضاء مع التسامح بعِلَّةِ الرحمةِ من الله تعالىٰ: «رَحِمَ اللهُ رجلًا سَمْحًا إذا باع، وإذا اشترىٰ، وإذا اقتضىٰ»[3].

ومن هنا؛ فإنَّ هذا الرَّبط يُؤدي معناه بنجاحٍ، بتحقُّقِ الإيمان والإحسان في قلوب الناس؛ ما يدفعهم إلىٰ اللَّهف علىٰ نَيْلِ رحمة الله تعالىٰ؛ الذي يَتماشىٰ مع التنمية الاقتصادية لأفراد المجتمع جنبًا إلىٰ جنب؛ وعليه فلابدَّ وأن يكون المجتمع صورة الشريعة في نُظمه؛ حتىٰ يتحققَ بناؤه المتين.

---

(١) فيح: الحرَّ، أو سطوع الحر وفورانه، يُقال: فاحتْ القِدر تفيح وتفوح إذا غلتْ، لسان العرب المحيط، لابن منظور، جـ ٤ صـ ١١٥٢.

(٢) رواه الإمام أحمد؛ في مسنده، نقلًا عن الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد؛ للشيخ أحمد عبد الرحمن البنا، كتاب: القَرض والدَّين، باب: فضل من أنظر مُعسِرًا أو وضع له، (ط. دار الشهاب، القاهرة، د.ت) جـ ١٥ صـ ٩٦، وسند الحديث جيد؛ علىٰ حد قول الشيخ أحمد البنا. راجع له كتابه: بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، (ط. دار الأنوار بمصر، طبعة أولىٰ، د.ت) جـ١٥ صـ ٩٧، وقال الحافظ الهيثمي؛ في مجمع الزوائد: الحديث رواه الإمام أحمد، وفيه عبد الله بن جعوبة السلمي، ولم أجد من ترجمه، وبقية رجاله رجال الصحيح، جـ ٤ صـ ١٣٣ ـ ١٣٤.

(٣) رواه البخاري؛ في صحيحه، من حديث جابر بن عبد الله، فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، كتاب: البيوع، باب: السهولة والسماحة في الشراء والبيع، رق م ٢٠٧٦، ج ٤ ص ٣٥٤، مرجع سابق.

ثالثًا: الإحسان بالتمويل؛ بعقد مشاركة بين الصندوق والفرد: وفي هذا النظام يقومُ الصندوق بدور المصرف، والعمود الفقري للفكرة الاقتصادية، ويضرب عقد الشراكة بين الصندوق والفقير؛ إذ بموجبه يقوم الصندوق بتمويل الفقير علىٰ أساس شرائط وبنود، تُوزَّع نتيجة الاستثمار بينهما من خلالها، فالدَّعم المالي من الصندوق، والخِبرة والتَّفعيل من الفقير؛ كشِراء رؤوس ماشية بتمويل الصندوق، والغذاء علىٰ الفقير من أرضه إن وُجد، أو علىٰ حسب النظام المضروب في العقد المبرم بينهما، أو علىٰ حسب دراسة الجَدوىٰ التي يقوم عليها المشروع.

وتقوم المشاركة الفعَّالة علىٰ صورتين: الأولىٰ: مُشاركة دائمة بدوام المشروع.

الثانية: مُشاركة تدريجية تُفضي بملكية المشروع للفقير بعد سداده لرأس المال؛ بطريق التقسيط المؤجَّل.

رابعًا: الإحسان بنظام التمويل؛ عن طريق التأجير: التأجيرُ مأخوذ من الإجارة؛ وهي: (عقدٌ علىٰ المنفعة بعِوَضٍ؛ وهو مال) [(١)]، وقِيل: (هي بيعُ منفعةٍ معلومة بأجرٍ مَعلوم) [(٢)] وهو نظام مشروع بالكتاب والسُّنَّة والإجماع، وقد استدل العلماء علىٰ مشروعيته؛ بقوله تعالىٰ في قصة موسىٰ حين أجَّرَ نفسه لرعي الغنم: ﴿قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾ [القصص:٢٦]، وجاء في كتاب الأمِّ: (لقد ذكر الله نبيًا من أنبيائه[(٣)] آجر نفسه حِجَجًا مُسمَّاه، ملَّكه بها بضع امرأة، فدَّل علىٰ

(١) شمس الدين السرخسي؛ المبسوط، (ط. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثالثة، د.ت) جـ ١٥ صـ ٧٤.

(٢) بدر الدين العيني؛ عمدة القاري شرح صحيح البخاري، جـ ١٤ صـ ٧٧، مرجع سابق.

(٣) يقصد: موسىٰ عليه السلام.

تجويز الإجارة بكل حال)[1].

وهذا النظام الإسلامي المنبَعِث من الإحسان؛ وفيه تبادل للمنافع، فالصندوق المموِّل، يمتلك الآلات الزراعية مثلًا أو المعدات أو العقارات المختلفة، ثم يقوم بتأجيرها للمتولِّين علىٰ حسب حاجاتهم وبحسب خبراتهم، وهي علىٰ نظامين:

الأول: نظام التأجير التَّشغيلي: كتأجير الآلة لمدَّة مُعينة بمقابل؛ أُجرة شهرية، أو سنوية حسب الاتفاق الْمُبرم بين الطرفين، علىٰ أن تكون مِلكية الآلة للصندوق.

الثاني: نظام التأجير المفضي إلىٰ الملكية: حيث يُسدِّدُ المستأجر ثمنَ الآلة بنظام التقسيط المؤجل مع الأُجرة الشهرية، علىٰ أن تَؤُول الملكية للمُستأجر بعد الانتهاء من ثمن الآلة.

وكلُّها أنظمة تنموية رابحة، تعمل علىٰ التنمية والبناء.

ويمكن توسيع هذه الأنظمة المشروعة بدلًا من حصولها بين الأفراد والصندوق؛ بإبرامها بين الهيئات والصندوق؛ كهيئة الأوقاف، وصندوق الزَّكاة، وغير ذلك، والعائد يُفعَّل فيما سبق من أنظمة، ونكتفي بما سبق كنماذج وحلول مُوجزة.

❁ **ونَخْلُص مما سبق بما يلي:**

- **وضوح دورِ الإحسان في المشاريع التنموية علىٰ اختلافها؛ مثل:**

ـ المشاريع ذات الآثار الاقتصادية؛ كالحرفية، والزراعية، والصناعية،

(١)محمد بن إدريس؛ الشافعي؛ الأم، بتحقيق محمد زهري النجار، (ط. دار المعرفة، بيروت، طبعة ثانية، سنة ١٣٩٣هـ) جـ ٤ صـ ٢٥ باختصار وتصرف في النقل.

والمهنية.

ـ المشاريع الخدمية: وهي التي تخدم عملية التسويق للمشاريع الاقتصادية؛ كالدعاية، والإعلان بمختلف وسائلها، في هيئةٍ تنظيمية؛ تُحَسِّنُ صورة المجتمع المسلم، وتَضْمَنُ إلغاء التخطيط السيئ في عملية التسويق، والذي يترتب عليه الركُّود والخسارة.

منطلقات الإحسان نحو التنمية والبناء: تفرَّدتْ الشريعةُ الإسلامية بمنظومة تَوجيهٍ؛ خاصة للأموال؛ لصناعة مجتمع إسلامي خاص؛ لأنَّ المجتمع المسلم انبثقَ من هذه الشريعة، وقام علىٰ أُسُسِها التي أرادها الله تعالىٰ لعباده، فهي كفيلة ببناء وتنمية الأمَّة المسلمة بناءًا قويمًا؛ بتوجيه أصحاب المصانع والشركات والاستثمارات والتجارات؛ علىٰ كافة المستويات؛ نحو حلِّ المشكلات الاجتماعية؛ عبر منظومة تنموية تتناغم مع حجم المشكلات؛ **ومن أهم مُنطلقات الإحسان نحو التنمية:**

أولًا: توعية أصحاب الملكية؛ بفرضية الزَّكاة، والشعور بهموم المجتمع المسلم، وأزمة الأمَّة، والزج بهم في وحدة مُتكاملة هادفة: من المعلوم أن الزَّكاة في عُرف الشَّرع: (هي القَدْرُ الواجب إخراجه لمسْتَحِقِّيه في المال الذي بلغ نصابًا مُعينًا؛ بشروط مخصوصة، وقد سُميَّتْ "زكاة" لأنها تُزكي العبد، أي تُطَهِّرَه، وترفع شأنه عند ربه، وتُزَكِّي المالَ؛ أي: تُنَمِّيه، وتُباركه، وتزيد فيه، فهي في اللُّغة: الطُّهر، والشرف، والنَّماء، والزيادة، والبركة؛ قال ﷺ: «بُني الإسلامُ علىٰ خَمْسٍ؛ شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزَّكاة، وحجِّ البيت، وصوم رمضان»[1]، وكان حقًا علىٰ رجال الدعوة والدعاية والإعلام أن يبثوا روح

(١) صحيح مسلم؛ بشرح النووي، كتاب: الإيمان، باب: أركان الإسلام ودعائمه، (ط. دار إحياء =

التوجيه الإسلامي، وأن يُلغوا النُّظم الاقتصادية المستوردة، وحبَّ التَّملُّكِ علىٰ حساب الآخر، وأن يُبيِّنُوا أنَّ الإسلام علىٰ النقيض من تلك المنظومات الوضعية؛ فهو يقوم علىٰ الحركية المتوازنة والتطور عبر آليات التصحيح الذاتي، وتوجيه السلوك الإنساني الرشيد.

ثانيًا: تفعيل قاعدة الإحسان بالبذل والإيثار؛ تحقيقًا للتنمية والكفاية: إنَّ الإحسان هو الذي يقود عملية العَصفِ الشعوري الوجداني الرحيم، ويدفعه نحو الإيثار والبذل، والشعور الواحد علىٰ حدِّ قول رسول الله ﷺ: «ترىٰ المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو تداعىٰ له سائر جسده بالسَّهر والحُمَّىٰ» [(١)] ذلك المعنىٰ الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صِلتهم بالله تعالىٰ؛ استشعارًا بملكيته الحقيقية للكَون والسماوات والأرض ومن فيهن؛ (وهي صِلَة لا يوجد لها نظير، ولا أساس للقياس؛ من بين الصِّلات في الأصالة والعمق، والسَّعة والاحتواء، والشُّمول والإحاطة، وأقلُّ ما يُقال فيها أنها صِلة الخالق والمخلوق، والربِّ والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنَّها صِلة هذا الربِّ الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربُوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلَصَ له الحبِّ، ويَهيمُ به القلبُ، وتُبذل في سبيله الْمُهَجُ والأرواح، فضلًا عن الأموال والأملاك)[(٢)] ذلك المعنىٰ؛ هو الأداة الفعَّالة القوية التي تُحرِّكُ الهِمَمَ نحو عملية الإنفاق.

= التراث العربي، بيروت، د.ت) جـ١ صـ١٧٦.

(١) أخرجه البخاري؛ في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، كتاب: الأدب، باب: رحمة النَّاس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير، جـ١٠، صـ ٥٤٠.

(٢) أبو الحسن الندوي؛ الأركان الأربعة، صـ٨٩، مرجع سابق.

الفصل الثالث

غاية تفعيل الإحسان في العمل الخيري ومجالاته في الإصلاح الاجتماعي

تنْبعثُ غايةُ تفعيل الإحسان في عدَّة مسارات، وهي تتفرع في عدة مجالات؛ وبيان ذلك فيما يأتي:

❁ أولًا: غاية الإحسان في المعاملات، وبناء القِيَم المجتمعية:

إن التعاملات الإنسانية تعتمد علىٰ تفاعل الأفراد في جميع أنواع المجالات، ويُشاهَدُ هذا التفاعلُ بصفة عامة في تنظيمات العمل؛ حيث يرتبط الأفراد بنوع من البناء والنظام الشكلي؛ في سبيل تحقيق هدف معين من خلال الترابط، والانسجام، والتعاون فيما بينهم(١).

والإنسان يميل بطَبْعِهِ إلىٰ مُخالطة النَّاس والتعامل معهم، وهو بحاجة إلىٰ ذلك؛ بحُكم المصالح المشتركة، وحاجة كلِّ إنسانٍ لأخيه الإنسان؛ فلا يمكن له الاستغناء عن الآخرين في تحقيق مصالحه، هذه الحقيقة التي جاء بها القرآن الكريم، وبيَّن أبعادَها، تنبَّه إليها عددٌ من العلماء؛ وعلىٰ رأسهم ابن خلدون في القرن الثامن الهجري، وما تزال الأيامُ تُثبتُ لنا صِدقَها، ودقَّة وصفها للسُّلوك

(١) مرسي؛ سيد عبد الحميد: العلاقات الإنسانية، (مكتبة وهبة، د. ت)، صـ١١.

الإنساني.

فقد بيَّن لنا القرآنُ الكريمُ أن النَّاس مهما تَعددتْ أجناسُهم وألوانهم؛ فإن أباهم جميعًا هو آدم عليه السلام؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء:١][1].

فالقرآن يُؤكد وحدةَ أصلِ النَّاس وصلةَ القُربىٰ بينهم، باعتبارهم أخوة يَنحدرون من أصل واحد، وإنَّ هذا التوحُّد في الأصل والمنشأ، حَريٌّ به أن يقود النَّاسَ إلىٰ الإحسان، والتعاون، والتفاهم، والالتقاء علىٰ الخير والمحبة.

والنَّاظر في صِيغ الخطاب القرآني، يجدُ أنها تُؤكد وحدة الأصل الإنساني، فكثيرًا ما تتكرر في القرآن صِيغُ النداء بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ و﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ﴾ ، مما يُشير إلىٰ أنَّ الله سبحانه كرَّم هذا الإنسان وفضَّله علىٰ كثيرٍ من خلقه، مُعلنًا بذلك مبدأ المساواة بين البشر؛ فلا فضل لجنس علىٰ آخر باعتبار اللون والعنصر والنشأة، ويرتقي بهذا الإنسان؛ حين يُعلن أنَّ أساس الثواب والعقاب؛ يرتكزُ علىٰ النوايا والأعمال لا علىٰ الظواهر والأشكال؛ قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ﴾ [الحجرات:١٣].

ولكن البشريَّة حين تُغيِّبُ عقولها، وتطمس ضمائرها؛ تتناسىٰ هذا المبدأ، وتضرب بكل هذه القِيم عَرض الحائط؛ فتنتشر العُنصرية البغيضة، وهنا يتجلىٰ دورُ الإحسان في ضبط سلوكيات الأفراد؛ نحو تعامل مثالي يعلوه الإخاء وتكسوه

(١) ابن خلدون؛ عبد الرحمن بن محمد: مقدمة ابن خلدون، (بيروت: دار القلم، ط. خامسة، ١٩٨٤م)، صـ٤١.

الرَّحمة.

وبعد أن بيَّنَ لنا القرآن وحدة الأصل الإنساني، بَيَّنَ لنا في سياقٍ آخر أنَّ هذا الأصل تفرَّعت عنه الشعوب والقبائل والأُمَمُ، وأنَّ الهدف من هذا التنوع بين النَّاس هو الإحسان، والوِصال، والتفاهم، والتعارف فيما بينهم؛ قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ﴾ [الحجرات:١٣].

وإذا كان القرآن الكريم قد اهتمَّ ببناء المعاملات الإنسانية علىٰ المستوىٰ الإنساني العام، فهو في الوقت نفسه لم يَغفلْ عن أهمية بناء هذه العلاقات في مستوياتها الخاصة؛ بدءًا بالعلاقة القائمة بين الزوجين، مُرورًا بالأُسرة، والأقارب، والجيران، حتىٰ المجتمع المسلم.

❁ ثانيًا: غاية تفعيل الإحسان في العلاقات الإنسانية:

تبدو أواصرُ الإنسانية؛ في تدافع الإحسان من ساحات الْمَوَاجِدِ؛ علىٰ مستوىٰ المعاملات الإنسانية بين الأفراد علىٰ اختلاف أشكالهم، فالمعنىٰ الإيماني هو الذي يقود عملية العَصْف الشعوري الوجداني الرحيم، ويَدْفعه نحو الإيثار والبَذلِ والشعور الواحد؛ علىٰ حدِّ قول رسول الله ﷺ: «ترىٰ المؤمنين في تَرَاحُمِهم وتَوادهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد؛ إذا اشتكىٰ منه عضو تَداعىٰ له سائر جسده بالسَّهر والحُمَّىٰ»[(١)]. ذلك المعنىٰ الإيماني الذي يجري في عروق وأوردة المؤمنين، يكمن في صلتهم بالله تعالىٰ استشعارًا بملكيته الحقيقية للكون والسماوات والأرض ومن فيهن؛ (وهي صلة لا يوجد

(١) أخرجه البخاري؛ في صحيحه، فتح الباري شرح صحيح البخاري؛ لابن حجر العسقلاني، ج ١٠، كتاب: الأدب، باب: رحمة النَّاس والبهائم، من حديث النعمان بن بشير، ص ٥٤٠.

لها نظير ولا أساس للقياس من بين الصلات، في الأصالة والعمق، والسعة والاحتواء، والشمول والإحاطة، وأقل ما يقال فيها أنها صلة الخالق والمخلوق،والرب والمربوب، والرازق والمرزوق، والمالك والمملوك، والحاكم والمحكوم، إنها صلة هذا الرب الكريم الكمالية، وأفعاله البديعة، وربوبيته الحكيمة الرحيمة، ورعايته اللطيفة الدقيقة، وأن يُخلص له الحب ويهيم به القلب، وتُبذل في سبيله المهجُ والأرواح، فضلًا عن الأموال والأملاك)[1] ذلك المعنىٰ؛ هو الأداة الفَعَّالة القَوية التي تُحرِّك الهِمَمَ نحو عملية الإنفاق.

وعلىٰ هذه الهيكلة تسير منظومة الإحسان؛ كالتالي:

١ ـ الإحسان بذي القربىٰ: فالأقارب أول بُؤرة في المجتمع، إذا تحققَ لها الكفايةُ انطلقتْ عملية التكوين المجتمعي علىٰ أنساق مُتوازنة، مما يجعل المنظومة الاقتصادية الإسلامية تملك إمكانيةَ التصدي للخَلَل الذي تحياه الأمَّة؛ ومن هنا عُني القرآن الكريم والسُّنَّة النَّبَوية بهذا الجانب، وحقَّهم أن يُنفقَ عليهم وجوبًا من وجهين؛ أولًا: سَمَّىٰ الله ما يُعطىٰ لذي القربىٰ حَقًّا، والحقُّ لا يُطلق إلا علىٰ الشيء الواجب.

ثانيًا: اسْتُخدمتْ صِيغةُ الأمرِ في الآية؛ حيث قال تعالىٰ: (فآت)، وصيغة الأمر تُفيد الوجوب[2].

وقال رسول الله ﷺ: «إبدأْ بنفسك فتصدَّقْ عليها؛ فإن فَضَلَ شيءٌ فلأهلك؛ فإنْ فَضَلَ عن أهلِكَ شيءٌ فلذي قرابتك، فإنْ فَضَلَ عن ذي قرابتك

(١) أبو الحسن الندوي؛ الأركان الأربعة، ص ٨٩، مرجع سابق. تم تكراره في ص:٢٥.

(٢) الإمام ابن القيم؛ زاد المعاد في هدي خير العباد، ج ٤ ص ١٦٦، طبعة رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالرياض، بدون تاريخ.

شيءٌ فهكذا، وهكذا، يقول: فبينَ يديك وعن يمينك وعن شمالك»[(١)]، ويُجْبَرُ الرُّجل علىٰ نفقةِ والديه، وولده الذكور والإناث، ويُجبرُه الحاكمُ ويحبسه إذا امتنعَ عن دفعها، ولو كان أبًا، وذلك لضرورة دَفْعِ الهلاك عن القريب[(٢)]، وذلك الجبرُ للمُتَعَسِّفِ حتىٰ يحدثَ التكامل بين قوانين الإنسان وقوانين الكَون، مادام الإنسان والكَون يكونان معًا نظامًا واحدًا مصدره واحد، وهو الله الخالق سبحانه.

٢ ـ الإحسان باليتيم، والمسكين، وابن السبيل؛ تقويةٌ لأواصر المجتمع: وفي ذلك يقول رسول الله ﷺ في بناء الوحدة المجتمعية كقوة واحدة: «إنَّ الله فرض علىٰ أغنياء المسلمين في أموالهم؛ بقَدر الذي يسعُ فقراءهم، ولن يُجهدَ الفقراءُ إذا جاعوا وعروا؛ إلا بما يُضَيِّعَ أغنياؤهم، ألا وإن الله سيحاسبهم حسابًا شديدًا أو يعذبهم عذابًا أليمًا»[(٣)]

وبهذا؛ فُرِضَ علىٰ الأغنياء من أهل كلِّ بلد أن يقوموا بفقرائهم، فيُقام لهم بما يأكلون من القُوت الذي لابدَّ منه، ومن اللِّباس للشتاء والصيف بمثل ذلك، وبمسكن يحفظهم من المطر والصيف والشمس، وعيون المارَّة[(٤)]، وذلك

(١) صحيح مسلم؛ بشرح النووي، كتاب: الزَّكاة، باب: الابتداء في النفقة بالنفس ثم الأهل ثم الأقارب، ج ٤ ص ٨٣، طبعة دار إحياء التراث العربي، طبعة أولىٰ، سنة ١٣٤٧هـ.

(٢) الإمام الكاساني، بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، ج ٤ ص ٣٨، طبعة دار الكتاب العربي، سنة ١٣٩٤هـ.

(٣) ذكره الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي؛ في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، كتاب: الزَّكاة، باب: فرض الزَّكاة، ج ٣ ص ١٩٧، وقال: تفرد به ثابت بن محمد الزاهد، وهو من رجال الصحيح، وبقية رجاله وُثِّقوا، وفيهم كلام، مرجع سابق.

(٤) الإمام ابن حزم؛ المحلىٰ، ج ٦ ص ٢٢٤، نشر مكتبة الجمهورية المصرية العربية، بدون تاريخ.

فرضٌ علىٰ الأغنياء من أهل كلِّ بلد ويُجْبرُهم السلطان علىٰ ذلك[١].

وقد خاضَ سيدنا أبو بكر الصديق حَربًا ضِدَّ مانعي الزَّكاة؛ تحقيقًا للاتساق بين مطالب الشرع وقَالَبِ المجتمع؛ فهما متلازمان ولا ينفصلان.

وبذلك يستوعب النظام المالي الإسلامي حاجيَّات وحداتِ المجتمع الصُّغرىٰ، بما يُحقق الإشباع بين كلِّ وحدةٍ من وحدات المجتمع الكُلِّي.

٣ ـ الإحسان للجيران: فالإحسانُ للجارِ من أقوىٰ آليات القُوة في المجتمع المسلم؛ للربط بين النَّسق الإيماني والنَّسق الاجتماعي البيئي الطبيعي، مما يُرسخ أُسُسَ البناء الاجتماعي بمنهج لا تؤثر فيه المؤثرات الخارجية، ولا التأثيرات الخارجة الوافدة، وبذلك تَلْتَحم عناصرُ المجتمع، وتتسق دون أدنىٰ ثغرة، وقد شدَّدَ النبي ﷺ علىٰ رعاية الجارِ والعناية به، فعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال: «مازال جبريلُ يوصيني بالجار حتىٰ ظننتُ أنه سيورثه» [٢]، وقال: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليُكرم جاره»[٣]؛ وبذلك يربط الله تعالىٰ بين البُؤر المجتمعية برابطٍ قوي وَثيقٍ يقومُ علىٰ الإحسان، ويُؤكد ذلك قوله ﷺ: «ليس بالمؤمن الذي يَبِيتُ شبعان وجاره جائع إلىٰ جنبه» [٤] ؛ وبذلك يُوثِّقُ الشرعُ بين لَبِنَاتِ المجتمع المسلم بمادةِ الإيمان، وهي أقوىٰ موادِّ البناء.

(١) المصدر السابق، نفس الصفحة.

(٢) رواه البخاري؛ في صحيحه، من حديث عائشة؛ فتح الباري بشرح صحيح البخاري؛ لابن حجر، كتاب: الأدب، باب: الوصاة بالجار، ج ١٠ ص ٤٩٧، مرجع سابق.

(٣) رواه البخاري؛ من حديث أبي هريرة؛ فتح الباري؛ لابن حجر، كتاب: الأدب، باب: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذِ جاره، ج ١٠ ص ٥٠٢، مرجع سابق.

(٤) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١/ ٢٥٩) رقم (٧٥١) وصححه الذهبي في التلخيص، والألباني في صحيح الأدب المفرد .

وتلك هي البُؤر الكبرىٰ التي تجمع وحدات المجتمع، وفي هذه المسئولية تأخذ الشريعة بعين الاعتبار كلَّ أبعاد النسيج المجتمعي، وبذلك تنتعش كلُّ وحداتِ المجتمع ليكونَ مجتمعًا لديه الكفاية الذاتية؛ ما يدعوهُ ليكونَ إنتاجيًا.

والقرآن يُعطي أهميةً للعلاقات الإنسانية، ويجعلها أساسَ الاجتماع وأصل العمران؛ قال تعالىٰ: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

فالآية تشيرُ إلىٰ أنَّ الإحسان بين القلوب نعمة ربانية جديرة بالتنويه، بها "تَنْتَفِي الأحقادُ، وتنمحي البغضاءُ، وتَتوارىٰ الخلافات، وما يترتب عليها من غارات وحروب، ويذهب شَبحُ الهلاك إلىٰ غير رجعة؛ لأنَّ التأليف بين القلوب إنما هو اتحاد في المشاعر، وانسجام في الوجدان، وباعث علىٰ التضامن في السرَّاء والضرَّاء؛ فهو إذن وحدة نفسية، أو فكرية، أو عقلية، أو روحية؛ ينشأ عنها حتمًا وحدة اجتماعية لا تنفصم؛ ومن هنا يمكن القول: إنَّ المجتمع في نظر القرآن تأليفٌ بين القلوب، واتحادٌ في المشاعر، وتَشاركٌ في الوجدان"[1].

❁ ثالثًا: تفعيل خُلُق الإحسان في العمل الدعوي؛ بشراكة المؤسسات الخيرية:

الحقيقةُ أنَّ إحسان التعامل مع الآخرين لـه مفهوم شامل، يتَّسعُ اتساعَ العلاقات الإنسانية بين بني البشر، والروابط التي تجمع بين النَّاس كثيرة؛ فمن رابطة الدَّم، إلىٰ رابطة الفكرة والمبدأ، ورابطة العمل والوظيفة، ورابطة الصداقة والصُّحبة، ورابطة الجِنس والعِرق، والرابطة التجارية والاقتصادية، ورابطة العقيدة؛ التي تُعدُّ من أقوىٰ

(١) التومي، محمد: المجتمع الإنساني في القرآن، صـ٢٧١.

الروابط وأمتنها، ولكن قوَّة رابطة العقيدة، لا تعني أنَّ أدب التعامل مع الآخرين لا يدورُ إلا في نطاقها، ولا يشمل التعامل مع أصحاب العقائد الأخرىٰ من غير المسلمين، بل؛ إنَّ أدب التعامل يتسعُ ليشملَ الإنسانيةَ كلَّها.

ولا بدَّ لنا في هذا السياق من التفريق بين إحسان التعامل مع الآخرين، وبين الوَلاء لهم؛ فإنَّ الوَلاء هو المحبة والنُّصرة(١).

وهذه لا تكون إلا بين المسلمين، ولكن التبرُّؤ من أعداء الله لا يعني الإساءة في معاملتهم، أو أكل حقوقهم، أو سبِّهم والفُحش معهم في القول، أو عدم ملاطفتهم؛ فالولاء: "هو سُلوك الباطن، والمحبة القلبية، وما يترتب علىٰ ذلك من نُصرة وإعانة، أمَّا التعامل الحَسَن؛ فهو سُلوك الجوارح والعلاقة الظاهرية، والأول قد حُصر علىٰ المسلمين، أمَّا الثاني فهو مع المسلمين ومع غيرهم"(١).

ولعلَّ ما ورد في سورة الممتحنة، هو من أوضح الآيات التي تُميِّزُ بين الولاء، وبين البرِّ وحُسن التعامل، يقول تعالىٰ: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الممتحنة:٨-٩].

فقضية التعامل مع الآخرين هي قضية بالغة الأهمية والخطورة، وقد جعل الإسلام الالتزام بالدِّين في قِسمٍ كبيرٍ منه، متوقفٌ علىٰ الأدَبِ وحُسْن المعاملة،

(١) محمد ابن عبد الوهاب؛ سليمان بن عبد الله بن محمد: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، (الرياض: مكتبة الرياض الحديثة)، صـ٣٤٦.

(١) الحمادي؛ علي: أمسك عليك هذا، (بيروت: دار ابن حزم، ط. ثالثة،سنة ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، صـ٣٢.

ومن مُنطلق هذه الأهمية؛ جاء القرآن الكريم ليضعَ لنا المناهج القويمة والأُسُسَ السليمة للتعامل مع الآخرين؛ باعتباره موضوعًا أساسيًا من موضوعات هذا الدِّين، فقد أصَّلَ القرآنُ الكريم لأدبِ التعامل مع الآخرين، وأقامهُ علىٰ مجموعة من القواعد والفنون؛ التي نضمنُ من خلالها نتائجَ إيجابية وحَسَنة في العلاقات الإنسانية، وهذه القواعد والفنون كثيرة ومتنوعة، وليس من موضوعنا الحديث فيها؛ غير أنَّ هناك قاعدة قرآنية تُعدُّ أصلًا تتفرع عنه كل قواعد التعامل مع الآخرين؛ هذه القاعدة هي «حُسْنُ الموعظة »؛ إذْ لا نجاح ولا توفيق في التعامل مع الآخرين في مجال الدعوة إلىٰ الله تعالىٰ؛ دُون هذا الأصل المتين.

وما انتشارُ الإسلام في جميع أنحاء المعمورة؛ إلا دليلٌ واضحٌ علىٰ انعكاس الأخلاق الإسلامية علىٰ العلاقات في المجتمعات الإنسانية، حتىٰ إنَّ الذين دخلوا في هذا الدِّين تَأَثُّرًا بهذه الأخلاق، يتجاوز عددُهم أضعافَ من دخلوه عن طريق السَّيف، بل؛ إنّ السيف –في كثير من الأحيان– لم يكنْ إلَّا لإزالة العقبات التي تَحولُ بين النَّاس والالتقاء مع صَفاء الإسلام وسماحة أخلاقه، وما أنْ تضعَ الحربُ أوزارها، ويتعامل المسلمون مع أعدائهم، وتنسابُ العلاقات فيما بينهم؛ حتىٰ تُبهرهم عظمة هذا الدِّين، وسُموِّ أخلاقه، فيتحولوا من أعداء محاربين للإسلام وأهله، إلىٰ مُناصرين للحقِّ مدافعين عنه.

والداعيةُ بموعظته يردُّ عن الحقِّ، ويذبُّ عن الفَهم مجاهيل الفِكْرِ؛ لذا حثَّ اللهُ الدعاة علىٰ الحكمة والإحسان في عَرض تعاليم الإسلام، والحُسْنِ في الموعظة عند الدعوة؛ فقال:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴾ [النحل:١٢٥].

ودعوته إِلِىٰ سَبِيلِ ربه، "أي (إلىٰ الإسلام) بِالْحِكْمَةِ: (بالمقالة الْمُحْكَمة الصحيحة؛ وهي الدليل الموضِّحُ للحقِّ المزيل للشُّبهة) وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ: (وهي التي لا يخفىٰ عليهم أنَّك تُناصحهم بها، وتقصد ما ينفعهم فيها، ويجوز أن يُريدَ القرآن؛ أي: ادعهم بالكتاب الذي هو حكمة وموعظة حسنة)، وَجَادِلْهُم بِالَّتِىٰ هِىَ أَحْسَنُ: (بالطريقة التي هي أَحْسَنُ طُرق المجادلة من الرِّفق واللِّين، من غير فظَاظَةٍ ولا تعنيف"[1]، وذلك أمرٌ من الله تعالىٰ لرسوله: "بأن يدعوَ إلىٰ دين الله وشَرْعه بتلطُّفٍ، وهو أن يسمع المدْعُوَّ حكمةً، وهو الكلام الصواب القريب الواقع من النَّفس أجمل موقع"[2]، وعليه فهو أمرٌ لمن حَمَلَ علىٰ عاتقه مسئوليةَ الدعوةِ إلىٰ الله تعالىٰ.

ولم يكُ التلطُّفُ في النصيحة بِدعًا في منهج الدعاة إلىٰ الله؛ فإن منهج الحكمة والتلطُّفِ واللِّين ثابتٌ في منهج الدعوة؛ وإنْ تغيَّرَ الدُّعاةُ؛ فمثلا "أمر اللهُ جلَّ وعلا نبيَّه موسىٰ وهارون عليهما وعلىٰ نبينا الصلاة والسلام: أن يقولا لفرعون في حال تبليغ رسالةِ الله إليه؛ فقال: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه:٤٤]؛ أي: كلامًا لطيفًا سهلًا رقيقًا، ليس فيه ما يُغضب ويُنفر، والقول اللَّيِّنُ في هذه الآية بقوله: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ﴾ [النازعات:١٧-١٩]، وهذا –والله– غاية لِين الكلام ولطَافته، ورقَّتِه –كما ترىٰ–

(١)أبو القاسم؛ محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، بتحقيق: عبد الرزاق المهدي (ط. دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ت) جـ٢، صـ ٦٠.

(٢)محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي؛ تفسير البحر المحيط، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، ط. أولىٰ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م) جـ ٥. صـ ٥٣٠.

وما أمرَ به موسىٰ وهارون في هذه الآية الكريمة؛ أشارَ له تعالىٰ في غير هذا الموضع؛ في مثل قوله:

﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل:١٢٥]، [(١)]، ويُؤخذُ منه أنَّ منهج النَّصيحة في الدعوة إلىٰ الله يجب أنْ يكونَ بالرِّفق والحكمة والتلطُّف واللِّين، لا بالقسوة والشِّدة والعنف؛ فهناك ارتباطٌ بين الدَّعوة بالحكمة والموعظة الحسنة؛ فالحوار قرين الحكمة والموعظة الحسنة في جميع الأحوال، وهذا الارتباط هو من قَبيلِ ارتباطِ المنهج والمضمون بالوسيلة والأسلوب؛ فالحوار هو الوسيلة والأسلوب، والحكمة والتلطُّف هما المنهج، بينما المضمون هو الموعظة الحسنة، وليستْ أيَّةُ موعظة، علىٰ أي نحوٍ من الأنحاء، ولا بأية طريقة من الطُّرق، ولكنَّها موعظةٌ حسنة، وينطبق هذا علىٰ الحوار انطباقًا كاملًا.

وتأتي المجادلة؛ وهي مقارعة الحُجَّة بالحُجَّة، في المرتبة الثانية من مَراتب الدعوة إلىٰ الله، وكمَا أنَّ الدعوة لا تتمُّ علىٰ الوجه الشرعي؛ إلا إذا كانت صادرة عن الحكمة، ومقترنة بها، كذلك الحوار لا يكون إلا بالتي هي أحسن؛ أي أحسن الوسائل وأقْوَم الأساليب، وأصح الطرق؛ وذلك ضمن مبادئ الحوار، وأُسُسِه، وشروطه، وبذلك يتضح جليًا مَدىٰ تأكيد القرآن علىٰ منهج وأسلوب اللِّينِ والحكمة؛ في نُصح الدِّعاة للمَدْعُوِّين.

---

(١)محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر؛ الجكني، الشنقيطي؛ أضواء البيان في أيضًاح القرآن بالقرآن (ط.دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع بيروت – لبنان ـ سنة ١٤١٥ هـ- ١٩٩٥ م) جـ٤، صـ١٥.

الخـاتمة

بعدَ هذا التَّطْوَاف في شِعَاب البحث؛ ننتهي إلىٰ عدَّة نتائج، ونرمي إلىٰ بعض التوصيات، نذكرُها فيما يلي:

❁ أولًا: أهمُّ نتائج الدراسة:

أولًا: إنَّ طبيعة القضايا الخيرية الاجتماعية؛ تقتضي المعالجة الشرعية لها بالإحسان في كل شيء، حتىٰ نُحافظ علىٰ الكوكب الذي نعيش فيه، ونتركه سالِمًا لأبنائنا، والأجيال القادمة.

ثانيًا: إنَّ نجاحَ برامج الإصلاح الاجتماعي؛ يعتمدُ بصورة أساسية علىٰ مُراعاة خُلُق الإحسان؛ في مجال التَّعامل الخيري.

ثالثًا: إنَّ المقصدَ العام للإحسان؛ هو إحسانُ القَصْدِ لله تعالىٰ في صِلَةِ المؤمن بربِّه وفي صِلَتِه بالناس، وفي صِلَتِه بسائر المخلوقات، ورعاية البيئة والمحافظة عليها؛ لتوفير الحياة الآمنة للإنسان، وحماية مصالحه الاقتصادية، وتوفير حاجاته المعيشية وغيرها، وحماية سائر الأحياء والمخلوقات الأخرىٰ؛ التي هي مُسخَّرة لخدمته.

❁ ثانيًا: أهمُّ التوصيات:

أولًا: ضرورة إعادة قراءة موضوع الإحسان؛ من خلال القرآن والسُّنَّة النبوية؛ من منظور تطبيقي؛ لاستخلاص المبادئ والأفكار التي تُفيد في حلِّ قضايا المجتمعات المعاصرة، والمحافظة علىٰ الحياة الإنسانية الكريمة، وضرورة ترجمة مبادئ الإحسان إلىٰ اللغات الأُخرىٰ؛ لتعريف غير المسلمين بالدُّور العظيم الذي يوجِّه إليه الإسلام في هذا الموضوع.

ثانيًا: يجب دراسةُ قضايا الإصلاحِ الاجتماعي من منظور الإحسان، وتعريف النَّاس بذلك؛ نظرًا لأهمية ذلك في التَّصدِّي للمشكلات الحياتية.

ثالثًا: دعوة المفكرين والفقهاء والباحثين والمتخصصين في الشريعة؛ إلىٰ التعاون فيما بينهم لعَرْض الرُّؤية الإسلامية الشاملة للإصلاح، ودِراسة وتحليل التوجيه الإسلامي؛ إلىٰ الإحسان في التعامل مع الآخرين ومع البيئة، والعمل في صياغة مشروع تنموي من الرؤية الإسلامية وسُبل تحقيقها، والعمل علىٰ تصحيح المسار، وبيان مواطن الخَلَلِ كُلَّمَا أُتِيحتْ لهم الفرصة في المحافل العلمية والفكرية.

وصلِّ اللهم وسلِّم وبارك علىٰ سيدنا محمد وعلىٰ آله وصَحْبه أجمعين.

كتبه/ د. محمد عبد الدايم علي سليمان الجندي

الأستاذ بجامعتي الأزهر والملك فيصل.